المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع بعد المائة

١ مايو سنة ١٩٤٤ ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٦٣

من أسرار الجسم الحي

البيوتين والبيودين

وصلتهما بخفايا النمو والمرض

علم الحياة علمٌ واسع النطاق كثير الشعاب ، يتصل من ناحية بالفلسفة ومن ناحية بعلوم الطبيعة والكيمياء . والمارشال سمطس يذهب في ما أُثِر عنهُ من مذهب فلسفي — يعرف بالمذهب الكلي Holism — الى أن الحياة ليست وحدةً مستقلةً بل نظام معين . والانسان في نظر أحد الفلكيين ليس إلاّ مركباً من مركبات الايدروجين في حالة غروية ، وقد أضيفت اليهِ أخلاط ومركبات أخرى . أما علماء الكيمياء فيحاولون أن يحلوا المادة الحية الى العناصر التي تتألف منها ، فيقيسون المقادير اليسيرة من المعادن التي تدخل في تركيب جسم من الأجسام ، وغرضهم أن يضعوا للجسم الحيّ تعريفاً كيميائيًّا ، كما يكتب كبار الطهاة ، وصفةً لكعكة معيَّنة أو نوع من الطعام ، ثم يعلنون أن المواد الكيميائية ، في جسم الانسان ، لا يزيد ثمنها على ثمانية عشر قرشاً صاغاً ! ولو استطاع الكيميائيون أن يركبوا من هذه المقادير جسماً حيًّا ، لكانت الأجسام الحيّة أرخص من بعض أصناف الكعك والحلوى

ولكن هيهات ! إننا نجهل الوصفة التي ركّبت بمقتضاها الأجسام الحية ، ولا بدَّ أن تبقى بعض الظواهر الغريبة في حياة الأجسام الحية ، كالسرطان والنموّ والمرض مستمرّة حتى يكشف السرّ ، ويعلنَ الخفيّ

انَّ تسعين في المائة أو أكثر من تسعين، من مادَّة الكون، مفرغ في أجسام النجوم والسدم. والنجوم والسدم، على عظمتها، مركَّبةٌ من مادة في حالة توهُّج يستطاع تفسيرها وتصوُّرها وفقاً لمبادئ الطبيعة والكيمياء. ولكن الخلية على صغرها، مركَّب معقد من سوائل وغازات ومواد غروية، وهي على برودتها إذا قيست بدرجات الحرارة العادية — لا بحرارة الشموس — مقرٌّ لتفاعل ذريٍّ وجزيئي خفيٍّ، تنبثق منهُ شعلة الحياة. فالمادَّة الحية (الجبلة، البروتوبلاسمة) أقرب مظاهر الطبيعة الينا وأبعدها عنا في آن

وليس لأحد أن يتوقع كشف هذا السرّ العظيم — سرّ الحياة — بوحي يهبط على كائن من كان، ولا لأحد أن يتوقع كشفهُ دفعةً واحدة. فلا بدَّ من البحث المحكم الدقيق، ولا مفرَّ من النفوذ الى الحقائق الصغيرة، رويداً رويداً، ثم ضمّها بعضها الى بعض، وقد لا يماط اللثام تماماً عن السرّ، ولكن البحث العلمي ماضٍ في إماطتهِ قليلاً قليلاً. وفي ما يلي من المقال، قصة حقيقتين، كشفهما العلم الحديث، تتصلان بأسرار النمو ومقاومة المرض في الجسم الحيّ (١)

البيوتين

أطلق اسم « البيوتين » على أحدث عضوٍ في أسرة من الفيتامينات تعرف باسم فيتامين مركَّب B . ومع أن تركيبهُ الكيميائيّ لم يعرف إلاّ من عهد قريب، فإن مبدأ قصتهِ يرجع الى سنوات خلت

ففي سنة ١٩٢٧ كان فريق من العلماء الألمان، يجرّبون تجارب بطائفة من الجرذان، فجففوا بياض (زلال) البيض وأدخلوهُ في طعامهم. وكانت الجرذان حين أكلت هذا الطعام، تنتفض حيوية ونشاطاً، فلم تنقض عليها ثلاثة أسابيع، حتى ظهرت عليها أعراض غريبة. فقد بدأ وزنها يقلُّ وكساؤها الوبريُّ الأبيض الناعم، يخشن وينزُّ، وظهرت رقع عليهِ زال الشعر منها تماماً. ثم فقدت مرونة قوائمها فلم تلبث حتى تيبَّست. وبعد أيام ماتت. وكان مبعث استغراب هؤلاء العلماء، أن الجرذان كانت تحتفظ بعافيتها كاملة، لو كان زلال البيض المضاف الى طعامها قد سُلق. فمن الواضح أن في زلال البيض النيء سمًّا خاصًّا يسمُّ هذه الجرذان

---

(١) اعتمدنا على مجلة «خلاصة العلم» و«رسالة العلم الاسبوعية» ومجلة «هاربر» ومقال لبول ده كروف سبق نشره في ريدرز دايجست

فعني العلماء والأطباء في كل صقع بأخبار هذه الجرذان . كيف يفسّرون هذا المرض وما يعقبهُ من وفاة ؟ وما هو سبب مرض زلال البيض ؟

على أن فريقاً آخر من العلماء كان مُكبًّا على دراسة نموّ الخميرة فوجدوا أن هناك عاملاً غذائيًّا ، لا بدَّ منهُ لخلايا الخميرة ، حتى تنمو نموًّا سويًّا ، فأطلقوا على هذا العامل اسم ڤيتامين H أو « بيوتين » فحاول هؤلاء العلماء ، أن يطعموا البيوتين ، للجرذان المصابة بمرض زلال البيض ليروا ما يكون المصير ، فنجت الجرذان مما أصابها وبرئت . فثبت أن البيوتين الذي يولّد خلايا الخميرة ، يبرئ من مرض زلال البيض

فتوسَّل العلماء بهذه الحقائق ، الى المضي في بحثهم ، عسى أن يكشفوا سرَّ الجرذان التي تقضي بزلال البيض . فأفضى البحث في معامل شتى الى تبين بعض السرّ ، واذا هو أن زلال البيض يحتوي على مادة معيّنة ، تسلب الطعام ما فيه من بيوتين ، باتحادها بهِ . فيمتنع هضمه وتمثيله على الوجه اللازم . وتوسلوا بأساليب الكيمياء الحيوية ، فتبينوا أنَّ هذه المادة « بروتين » واطلقوا عليها اسم « اڤيدين » وقد اشتقوه من لفظ « اڤيد » Avid ومعناه « جشع » أو « نهم » لأن هذه المادة فيها جشع للبيوتين والمعروف حتى الآن ، أنَّ الأڤيدين لا يوجد الاَّ في زلال البيض . ومقادير يسيرة جدًّا منهُ ، تكفي لاحداث المرض في الجرذان ، فاذا أُغليَ الاڤيدين خلال ثلاث دقائق الى نصف ساعة ، زال فعلهُ

ولا يزال الأڤيدين موضع عناية عظيمة عند فريق من الباحثين ، ولكنَّ موضوع البيوتين ، كان أدنى إلى البحث ، وأقرب الى الفائدة ، فما أوْفت سنة ١٩٣٣ حتى كان السؤال الأول عند العلماء المعنيين ببحثهِ ، هو هل يستطاع الحصول عليهِ نقيًّا من الشوائب ؟ فالڤيتامينات الأخرى قد عزل بعضها ، وركب بعضها بالتأليف الكيميائي ، فهل في الوسع إخضاع البيوتين للعزل والتأليف ؟

وجاء الجواب في سنة ١٩٣٦ فكان بالايجاب . فبعد عناءٍ عظيم في التصفية والفصل والتركيز تمكن الباحثان كوجل وتونيص الألمانيان من عزل مقدارٍ منهُ يبلغ ثلاثة أجزاءٍ من مئة ألف جزءٍ من الأوقية استخرجوه من ربع طن من صفار (مح) البيض ، وكان هذا المقدار مبلوراً صافياً كالبلور لا تشوبه شائبة . أما وقد حضّر مقدار يسير من البيوتين المبلور الصافي من مصادر طبيعية ، أفلا يستطاع تركيبهُ بالتأليف الكيميائي في أنابيب المعمل وبوتقاتهِ ؟

والواقع أن ظفر كوجل وتونيس بعزله ، كان توطئةً لا غير ، لبحث دام ست سنوات أخر ، قبل الظفر بالحلّ النهائي

ويعود الفضل في معرفة تركيب البيوتين ، ثم في تركيبهِ بالتأليف الكيميائي الى الاستاذ ڤنسان دي ڤينيو وأعوانهِ في مدرسة الطب بجامعة كورنيل الأميركية . وقد منح دي ڤينيو في السنة الماضية جائزة « ميد جنصن » جزاءً لهُ على بحثهِ واعترافاً بفضله

على أننا نسأل : لماذا يعدُّ العلماءُ تركيب البيوتين بالتأليف الكيميائي أمراً خطير الشأن ؟ والجواب عن هذا السؤال مزدوج . فتحضيره بالتأليف الكيميائي يتيحهُ للباحثين، في مقادير أوفر وأثمان أرخص فينشط بحثهُ والتجريب بهِ . والبيوتين كثيرٌ في الكبد والكليتين والغدة الحلوة -- البنكرياس — والخميرة ومَحّ البيض . ولكن استحضارهُ من هذه المواد شاق وكثير النفقة . فاذا أثبت البحث نفعه ، شقَّ استعماله استعمالاً واسع النطاق في الطب إلاَّ إذا كانت المقادير المتاحة منهُ كبيرةً وافية

والبيوتين ، موضع عناية عظيمة لأنهُ مادّة فعّالة من الناحيـة الفسيولوجية ، فلو استعمل منه مقدار يسير جداً لاستطاع أن يحدث تفاعلاً كيميائيًّا . وفعله في تنشيط النمو يستبين ولو كان المقدار الموجود منه لا يزيد على جزءٍ من أربع مئة بليون جزءٍ . وهذه القوّة ، تبعث على الدهشة ، حتى بعد مقابلتها بقوة المواد الاخرى الفعالة من الناحيـة الفسيولوجية. فالثيروكسين مثلاً — مادة الغدة الدرقية — فعّال إذا كان المقدار الموجود منه جزءًا من أربعة بلايين جزءٍ والادرينالين فعال اذا كان المقدار الموجود منه جزءًا من عشرين مليون جزء . فمادة كيميائية ، قوية الفعل كالبيوتين ، نسيج وحدها أو هي في طبقة خاصة

على أنَّ العناية بالبيوتين ، لا تقتصر على شدَّة فعلها ، او فائدتها في تغذية الجرذان ، المصابة بمرض زلال البيض . فقد وجد الدكتور وليم تراجر أحد علماء معهد روكفلر أن تكاثر طفيلي الملاريا في أجسام فراخ الدجاج والبط ، يتأثر بمستوى البيوتين فيها . وبحثهُ هذا يفضي الى الظن ، بأن قلة البيوتين ، في هذه الحيوانات ، يزيد تعرُّضها للملاريا . ويقابل هذا أن إضافة البيوتين ، بعد الاصابة ، أضعف شدَّة الاصابة . فاذا صحت هذه النتائج وتأيدت ، فههنا مثل على ڤيتامين معين — هو البيوتين — يعزّز المقاومة ضد مرض معين — هو الملاريا . وما دام البيوتين ، يصنع الآن بالتأليف الكيميائي . ففي الوسع إباحة المقادير اللازمة منهُ لتجربة جميع التجارب اللازمة ، الخاصة بمكافحة الملاريا على هذا الأساس

ومن أغرب الحوادث التي رويت، حادثة سجلها ونشرها الدكتور روبرت وليمز ، في فبراير ١٩٤٣ ، وهي حادثة نقص البيوتين ، في جسم عامل إيطالي عمره ست وستون سنة . كان

هذا العامل منذ حداثته مولعاً بالبيض النيء ، فيمزج بيضةً أو بيضتين بملء كاس من النبيذ ويشرب المزيج . وقد أقام ست سنوات يفعل ذلك مراراً كل يوم . وولعه بالبيض حملهُ على شراء مزرعة لتربية الدجاج فيها ، من أجل بيضها ، وكان يأكل من عشرين بيضة نيئة الى ٧٠ بيضة كل أسبوع . وكانت تجيء عليه أيام لا يتناول فيها شيئاً سوى البيض النيء والنبيذ . وقد ظهرت على بشرتهِ الأعراض التي ظهرت على الجرذان الذي أدخل زلال البيض النيء في طعامها . ودلَّ بحث حالتهِ في المستشفى ، على نقص مقدار البيوتين في جسمه . فعولج بالبيوتين ، وسائر أعضاء أسرة فيتامين B ولكن الاكتفاء بأخذ البيوتين في طعامهِ لم يكف لاحداث التركيز الوافي من البيوتين في جسمه ، فحقن بهِ حقناً ونجح العلاج

على أن الاهتمام الأكبر بالبيوتين ، آتٍ من ناحية ما يعلق بهِ من أمل في كشف سرٍّ من أسرار السرطان . فبعض الأنساج السرطانية ، لا يحتوي على مقدار كبير من البيوتين ، وبعض آخر منها ، يحتوي على مقدار عال جداً يفوق المعدل السوي . فاذا كان للبيوتين صلة ما بنمو خلايا السرطان ، كما له صلة بنمو خلايا الخميرة ، أصبح في الوسع من الناحية النظرية على الأقل ، خفض النمو السرطاني ، بتحديد المتاح من البيوتين . وقد امتحنت هذه النظرية امتحاناً أوليًّا ، فلم يسفر الامتحان عن نجاح ، ولكن البحث ماضٍ في سبيلهِ ، وما عرف حتى الآن ، ليس إلاَّ فاتحة فصل جديد في تاريخ الطب وتقدمهِ .

البيودين (١)

أما قصة « البيودين » و « البيودينات » فترجع الى سنة ١٩٣٥ ففي تلك السنة أسس أسقف مدينة سنسناتي الاميركية معهداً للبحث العلمي واختار لادارته من الناحية العلمية ، رجلاً يدعى الدكتور جورج سبرتي Sperti وكان حينئذٍ في الخامسة والثلاثين من عمره ، ولكنهُ كان قد أحرز شهرة واسعة بين العلماء ببحوثه الباهرة ، فأتاح له المعهد الجديد الفرصة وأفسح له المجال ، إذ مكنهُ من انشاء معمل للبحث في سنسناتي وآخر في « پام بيتش » بولاية فلوريدا للبحث في خلايا الأحياء المائية ، وجمع حواليهِ طائفة مختارة من علماء الطبيعة والكيمياء الحيوية وفسيولوجية النبات وما أشبه ، ووثق الصلة بين المعهد وبين عدد من المعاهد الأخرى وكان الغرض الأكبر البحث في السرطان

فلما اجتمع سبرتي بزملائهِ ذكرهم بحقيقة غريبة غامضة في فعل الخلية . فعند ما يصاب نسيج حي ما بجرح ، تنشط الخلايا التي تجاور الخلايا المصابة ، الى التكاثر تكاثراً سريعاً ، ولا تعود الى حياتها السوية إلاَّ بعدما يتولد النسيج الجديد ويندمل الجرح . فلا بدَّ أن تكون

---

(١) بيودين مركب من « بيوس » : حياة و « ديناميس » : قوة

هناك مادة ، تسيطر على حياة الخلية وتحركها حيناً بعد حين . قال : فاذا كشفتم ما هذه المادة وما فعلها وكيف تفعل ، فلعلكم تفوزون بالمفتاح الذي يفتح أغلق مغلقات الخلية

فكانت الخطوة الأولى، إحداث أذًى ما في الخلايا الحية، ثم مراقبة ما يقع لها ويتمُّ فيها . فاستعمل سبرتي الاشعة فوق البنفسجية ، وهي على ما نعلم مفيدة اذا كانت قوتها ومقاديرها يسيرة ، وفتاكة اذا كانت كبيرة . فذهب إلى أنهُ اذا استعمل هذه الأشعة ، في قوة ومقدار ، فوق الاشعة المفيدة ودون الفتاكة ، حدث الأذى أو الضرر بالقدر المطلوب . وقضى هو وزملاؤه السنوات التالية، وهم مكبون على أنابيب الاختبار تحت مصابيح الاشعة . خلايا الخمائر وخلايا أنساج الأجنة من الفراخ وخلايا السحالي والسمك وأكباد الحيوان وما أشبه ، جميعها عُرِّضت للاشعة فوق البنفسجية ، وكانوا حين يبلغ الضرر الواقع لها من التعرض للاشعة ، مرتبة معيَّنة ، يأخذونها فتغسل في محلول خاص ثم تقطِّر الخلايا من المحلول . فاذا كان في هذه الخلايا مادة ما تولدت فيها بفعل الضرر الذي أصابها ، فيجب أن تكون في هذا المحلول المعقم الخالي من الخلايا

وفعلاً وجدت هذه المادة في هذا المحلول . وقد أثبت وجودها بتغطيس قطعة نسيج من جنين فرخ — لم تعرّض للاشعة — في هذا المحلول ، فاذا نشاط عجيب في نمو الخلايا وتكاثرها، وكان هذا النمو بادياً على شرائح المجهر . أي أن الخلية الحية أباحت أخيراً أحد أسرارها

ثم تبين الباحثون أن هناك أصنافاً مختلفة من « البيودين» فصنف يحدث نشاطاً في نمو الخلايا وتكاثرها فيفعل فعلاً ناجعاً في اندمال الجروح . فأطلقوا عليهِ « عامل التكاثر » ، وصنف ينشط التنفس فأطلق عليهِ «عامل التنفس»، وصنف يزيد سرعة الخلية في استهلاك السكر للفوز بالطاقة التي يولدها احتراقهُ ، ولا تزال صلة « البيودينات » بالسرطان موضع بحثٍ . ولكن سبرتي لا يرضى ، أن تهمل حقيقة علمية جديدة الى أن تكشف صلتها الوثيقة بالموضوع الأصيل الذي أفضى الى كشفها . والى رأيهِ هذا مردُّ « مروّخ البيودين » الجديد الفعَّال في شفاء الجروح . لأنهُ إذا صحّ أن البيودين — عامل التكاثر — يحرِّك الخلايا السليمة الى النمو والتكاثر فيجب أن يكون فعَّالاً في شفاء حروق تصاب فيها مساحات واسعة من الجلد . وكذلك استخرج بيودين التكاثر من أكباد الحيوان ، واستخرج بيودين التنفس من خلايا الخميرة ، ومزجا بمادة دُهنية فاذا المروّخ يفعل فعل السحر في شفاء هذا النوع من الحروق . ومن عجائب هذا المروّخ أن المصاب بالحرق لا يشعر بألم عند ما يدهن حرقه بمروّخ البيودين مع أن هذا المروّخ لا يحتوي على مخدِّر ما . أما سر فعلهِ هذا فلم يعرف بعد .

الى زائرة

لو كنتِ ناصعة الجبينْ   هيهاتِ تَنفضني الزيارهْ
ما روعةُ اللفظِ المبين ؟   السحرُ من وحي العباره

◆

ظلٌّ على وَهَجِ الحنين   رسمته معجزةُ الإشاره
خطٌّ تساقطَ ، كالحزين ،   أرخى على العزمِ انكساره
ماذا بِوجد المحسنين ؟   صوتٌ شجٍ خلف الستاره

◆

غيَّبتِ في العَجَبِ الدفين   معنىً براعته البكاره
دراًّ يفوت الناظمين   ونهضتِ تَهديني بحاره
خطواتُ وسواسٍ رزين :   وَهَبٌ تُعمِّيه الطهاره

بشر فارس

ينبوع الفن

مسرحية في ثلاثة فصول

بقلم خليل تقي الدين

أشخاص الرواية

الكاتب ـ القلم ـ الورقة البيضاء ـ الدواة

المكان لا يتغير في المشاهد الثلاثة. فهو غرفة المكتب في منزل الكاتب. المسرح متخذ شكل منضدة كبيرة عليها ورق أبيض وقلم ودواة. هنا وهنالك كتب كثيرة وصحف ومجلات، بعضها مرصوف على الرفوف، وبعضها منتثر على الارض، وعلى المقاعد. خزائن تندفق الكتب منها. مقعد شرقي مستطيل الى جانبه نارجيلة مهملة كأنها متروكة منذ عهد بعيد. الغبار يعلو الاشياء. لا نظام في المكتب ولا ترتيب، لكن المكان، مع ذلك، يعمر بهذا الاضطراب عمراناً محبباً الى النفوس. على الجدران صور زيتية بغير اطارات من ريشة الجميل وفروخ والانسي (مصورون لبنانيون)، وصورة كاريكاتورية تمثل الكاتب

المشهد الأول

الزمان — الهزيع الأول من الليل

الدواة (للقلم) لم هجرتني ؟ . . . أما ظمئت شفتاك ؟ !

الورقة البيضاء (للقلم) وكيف تجفوني ، أيها الماكر الناسي ؟

القلم أنا أهجر وأجفو ؟ معاذ الله ! لـكنه «هو» الذي هجر، و« هو» الذي جفا ! !

الدواة هو ! هو ! دائماً وأبداً هو ! متى تخلع عن عنقك هذا النير ؟. .

الورقة البيضاء أجل ! متى تتحرر وتحررنا ؟

القلم نحن ، بدونه لا شيء : جماد لا حياة فيه !

الدواة لا بل هو بدوننا لا شيء : حيوان ناطق ، لا أكثر ولا أقل ! !

الورقة البيضاء وهو « لولانا » أريج لا يفوح ، ولحن لا يسمع ، وسراب في صحراء !

القلم لـكننا لا نحيا إلاّ به.

الدواة وهو ؟ أترى الى هذه الحياة التي يحياها بعيداً عنا ؟

الورقة البيضاء لقد انحط الى مستوى البشر !

الدواة وكان بنا يسمو ، ونحن نسمو بهِ الى ذرى الآلهة !

الورقة البيضاء كنا نبني له المجد ، ونهيئ البقاء

الدواة ونضفر لجبينه أكاليل الخلود

القلم وما يغنيه من البقاء والمجد والخلود ، وقد دانت له الحياة ، ومنحته نعمة الحب كنزها الأكبر ؟ !

الدواة إنهُ إذن يضحي بنا على مذبح الحب ، وينسانا بين الشفاه المعسولة ، والعيون النجلاء ؟

الورقة البيضاء وتدافع بعد ذلك عنهُ ؟

القلم واحسرتاه ! كنت قصبة جوفاء، فصرت، بين أنامله، حيًّا ، بل خالقاً يبدع الحياة . فكيف أنكره ؟

الدواة ومن أرادك على انكاره ؟ لكن أئذا هجرك هو ، وجفاك ، تهجرنا أنت ، وتجفو ؟ ؟

الورقة البيضاء وتنظر اليّ فلا تشفق على عريي ؟

القلم وحق الألف والباء ، إن بي لشوقاً عنيفاً الى عناقك أيتها الحبيبة البيضاء . ولكن ، ما حيلتي وهو يطيل الهجران ؟

الدواة وأنا ؟ أتراك نسيتني أيها الجاحد ؟

القلم وكيف أنساك ، وبي ظمأ قاتل الى نغبة من ينبوعك الأزرق ؟

الدواة فعلامَ لا تأتيني إذن ؟

الورقة البيضاء ولا تكسو عريي بالكلام الخالد ؟

القلم مهلاً ! فهذه ساعته الكبرى ، ولا بدّ أنهُ آتٍ ، فقد هيّأ لهُ الليل الجو الذي يحب . سيجذبه السكون الينا كما كان في ماضيات الأيام

الدواة كان ذلك بالأمس، وارحمتاه على الأمس البعيد !

الورقة البيضاء يوم كان يدلف اليّ خفيف الخطى كما يدلف العاشق الى معشوقه ، فاذا داعبتني يداه ، بعثت فيّ لمساته لذة راعشة، ودغدغ صفحة خدي لهاثه الحارّ ، يوم ينحني عليَّ انحناء الحبيب على الحبيب

الدواة ويذيب في قلبي عصارة قلبه !

القلم ونأخذ جميعاً في الخلق والابداع . . .

الورقة البيضاء فاذا صحرائي واحة خضراء ، وسرابي جني وماء ، وجدبي خصب ، وعريي كساء !

الدواة وإذا كل قطرة من ينبوعي فكرة رائعة « وصورة حية » وعاطفة نابضة

القلم وإذا نحن في عرس دائم مع البشر المبدع الخلاق

الدواة عمده ليطبع الزمان بالطابع الذي لا يمحى ولا يزول

الورقة البيضاء طابع الفن وميسمه الأكبر

الدواة لكن الليل قد انتصف أو كاد وهو لا يأتي

الورقة البيضاء شأنه منذ شهور

الدواة ونحن ، في انتظاره ، نتحرّق ، ونفنى ، ونذوب

الورقة البيضاء ويتراكم علينا غبار النسيان

القلم وكأن توالي الأيام يسلّ منا الحياة ليعيدنا ، كما كنا ، جماداً بغير حياة !

الدواة لا بد من حيلة نردّه بها إلينا

الورقة البيضاء لا بل نرده بها الى نفسه

القلم ولمَ لا تقولان نرده الى الأجيال ؟

الدواة أحسّ أنني هرمت منذ هجرني ، وأن عروقي جفّت ، وغاض في قلبي ماء الحياة

الورقة البيضاء فماذا يحلّ بنا إذا طال بهِ الهجران ؟

الدواة رباه ؟ وماذا يحل بهِ ؟ ...

القلم يظل واحداً في القطيع . نكرة تحمل اسماً ، وتعيش عمراً ، ثم تمضي كأن لم تكن ، كما تعيش وتموت الحشرات . فأما أنت فتعودين زجاجة فارغة ، تلقى في الطريق ، وأنت صرة صغيرة لشيء حقير ، وأما أنا فأعود قصبة جوفاء تلقى في النار ، أو تدوسها الاقدام

الدواة بربك جنبنا وجنبه هذه النهاية المروّعة

القلم لا بدّ من أن أقتفي أثره وآتيكما بالخبر اليقين ، ثم نرى في أمرنا

الدواة إنها لفكرة رائعة ، ولكن أتقوى على اللحاق به ؟

القلم سأندس في جيبه ، على سابق عهدي بهِ ، يوم كان مقامي فوق قلبه

الدواة يالك من قلم مجدود !

الورقة البيضاء ليتني كنت مكانك !

السنار

المشهد الثاني

الزمان — بين دبيب العتمة وانطفاء النور

القلم وارحمتاه لنا ! واشباباه ! (يجهش بالبكاء)

الدواة إنك تخيفني !

الورقة البيضاء وتبعث الرعشة في جسدي

القلم الويل لنا مما ينتظرنا !

الدواة ما لك تتكلم بالألغاز ؟ ألا تريد أن تهدأ وتحدثنا عما رأيت وسمعت ؟

القلم ماذا تريدين أن أقول ؟ حسبكِ أن تعلمي أنهُ لن يعود . لن يأتي . لن يأتي أبداً . أيكفيك هذا ؟ !

الدواة (منتحبة) يا ضيعة شبابي ! أيها الينبوع المتفجر من صدري لم يبق لك إلاّ أن تغورُ . قبلني يا حبيبي قبلة الوداع فقد دنت نهايتي ودقت ساعة الفراق

الورقة البيضاء لقد هبّت عليّ لفحة الموت . وإني لأحس طعمه في حلقي

الدواة ولكن ألا حدثتني الحديث كله ؟

القلم إن صاحبنا عاشق متيّم . فلا عجب إذا نمي ساعته الكبرى ، فساعات حياته كلها عامرة بالحب

الدواة عرفت ، إذن لماذا يخلف مواعيده معنا ؟

القلم أجل ! لأن له كل ليلة موعداً أحب إليه وأشهى !

الورقة البيضاء مع التي يهوى ؟

القلم نعم . « وهو » الى الآن ، عاشق محظوظ . كلما لقيها حدثها حديثاً متصلاً لا نهاية لهُ ، كبَعض ما نحسن من كلام

الدواة وهي ، ماذا تقول لهُ ؟

القلم تتدلل . فهي ، ككل الحسان من بنات جنسها ، لعوب إلى حد كبير

الورقة البيضاء وهل تبادله حبًّا بحب ، أم تراها تهزأ بهِ ؟

القلم ليتها صدّته وداست قلبه بقدميها . لكنها تفرض سلطانها عليه ، وتُحكم ، شيئاً فشيئاً ، وضع النير في عنقه

الدواة وهل هي جميلة ؟

القلم (للدواة) لها عينان أصفى من ينبوعك !

الورقة البيضاء لشدّ ما تبالغ !

القلم (للورقة) . . . وشفتان أرقّ منك !

الدواة أكمل . أكمل . ولماذا لا تقول : وقدٍّ كقدّك الخيزراني أيها الفاجر ، ما دمت أنت أيضاً قد أخذت بصفاء عينيها ورقة شفتيها !

الورقة البيضاء تبًّا لك من زير نساء ! لست خيراً من الرجال

القلم لِمَ تظلمينني ؟ أنا ، إذا شئت ، زير ورقة ودواة . أما النساء فصاحبنا أدرى بهنّ

الدواة ولكنك لم تقل لي بعد هل تحبهُ هذه الفاجرة ؟

القلم يخيل إليّ أنها تحبهُ ، أو هي منجذبة إليه بفضل ما بنيناه له نحن ، سمعتها أمس تغني له مقاطع من شعره ، فراح في نشوة من الطرب ، ثم أكبّ على يديها يوسعهما تقبيلاً ، وهي تضحك وتغني وتبعده عنها بتراخ . . .

الورقة البيضاء يخيَّل إليَّ أنها لا تمنع عنهُ شيئاً . وهذا ما يخيفني

القلم كلاً كلاً . إنها بعد ، لم تستسلم اليهِ ، ولكنني أخشى . إنها على أهبّة أن تفعل

الدواة يجب أن نحول بينهُ وبينها ! يجب أن نجنبه هذه النهاية المحزنة حتى يعود إلـهاً مبدعاً بعد أن صار بشراً حقيراً !

القلم وأعجب ما في الأمر أنها لا تفتأ تسألهُ لماذا سكت حتى كاد ينساه الناس

الدواة إنها لا تخلو من الفطنة والذكاء . لكن أذكى النساء أكثرهنّ خطراً

القلم قالت لهُ : ألم أوحِ اليك بشيء ؟ إنك لا تحبني إذن !

الورقة البيضاء وما كان جوابه ؟

القلم جوابه ؟ ... دعي الأدب والشعر فهما وهمٌ ، وأنتِ الحقيقة . إن في عينيكِ من الشعر ما لم يحلم بهِ الأولون ولا الآخرون ، وفي فمكِ من العذوبة ما لم تنطوِ على مثله ألحان الموسيقيين . . . بهذا ، وبمثل هذا كان يجيبها ، وهو مدله نشوانٌ

الدواة الآن عرفت لماذا يجفونا !

القلم لأنهُ سعيد . أو يخيل إليهِ أنهُ سعيد . هكذا خلقوا ! إنهم لا يذكروننا ما دامت كؤوس اللذة مترعة في أيديهم ، فاذا تحطمت ألهب الشقاء نفوسهم ولسع الألم قلوبهم فلاذوا بنا يغنّون ، ويبكون ، ونفحوا الأجيال بفلذات أكبادهم قطعاً وآياتٍ مكتوبة بنجيع الفؤاد ، هي وحدها التي تبقى ، وبها وحدها يخلدون

الدواة كل أملنا إذن أن يشقى ؟ !

القلم أجل ! وأن يعاني ألماً عظيماً . الناس مدينون للألم بكل رائع ، وبكل سام ، وبكل جميل ! لولا الألم لما كان شعر ، ولا موسيقى ، ولا نقش ، ولا تصوير !

الورقة البيضاء تبارك الألم إن ردّ صاحبي إليّ !

القلم اسمعي ! جميع الخالدين من أبناء الفن أحبّوا . وجميعهم أحبوا حبّاً عظيماً . وهم لم يخلدوا إلاّ لأنهم تعذبوا في حبهم

فتسنى لهم أن ينعموا بنعمة الألم الأكبر

الدواة ينبوع الفن !

القلم هذه قسمتهم . إنهم لا يحسنون الغناء ، ولا يبدعون إلاّ إذا غمرهم اليأس والشقاء

الدواة أتراهم في هذه الحالة يستغنون عني ؟

القلم أجل ! لأنهم يغمسون أقلامهم في نجيع الفؤاد !

الورقة البيضاء وما يدريك ان صاحبنا لا يشتاقنا في غمرة السعادة هذه ، أو يحس الحاجة الينا ؟

الدواة أجل ! ليغني نشيد النعيم كما ينشد غيره لحن الشقاء ، سواء بسواء !

الورقة البيضاء أليست اللذة الكبرى كالألم الأكبر ، مهمازاً للعبقرية ؟

القلم كلاّ ثم كلاّ ! إنهم لا يبدعون إلاّ إذا تعذبوا . ألم تسمعي بالمجنون ، مجنون ليلى ؟

الورقة البيضاء بلى ! حدثتني عنهُ جدتي

القلم أكان هنالك مجنون ليلى ، لو زفت اليهِ ليلى ؟

الدواة من يدري ؟

القلم كانا يصبحان زوجين حقيرين في خيمة ضائعة في الصحراء ، يرعيان الغنم ، وينسلان الأولاد

الورقة البيضاء وهما اليوم ...

القلم خالدان في جملة الخالدين

الدواة وغداً ؟

القلم كذلك . لا أمس للخالدين ولا غد . إنهم أسمى من أن يحدهم زمان

الدواة وتريد أن تزج صاحبنا بينهم ؟

القلم ولِمَ لا ؟ على شريطة أن أشقيه

الدواة لكنه يبيع البقاء والخلود بساعة معها

القلم لأنهُ بشر أحمق . ونريده على أن يكون نصف إلـه !

الدواة وعلامَ عزمت إذن ؟

القلم دعيني أقص عليك تتمة الحديث . لقد ضرب لها أمس موعداً يلقاها فيه

الدواة متى ؟ وأين ؟

القلم هنا ، غداة غد ، في مثل هذه الساعة ، بين دبيب العتمة وانطفاء النور ، وعند ما فارقها راح يطوّف في الشوارع ويهذي كالمجنون ، ويردد : غداً ! غداً ! واطولَ شوق المستهام الى غد ! وأكبر ظني أن موعد الغد موعد عظيم ! وظل يسير على غير هدى حتى قادته رجلاه الى الشاطىء ففتح ذراعيه للبحر وأخذ يصرخ بصوتٍ عالٍ كأنه يناديها من بعيد : تعالي إليّ ، فؤادي يناديك في هدأة الليل ، هل تسمعين . . . ثم صاح : تعالي ، تعالي ، تعالي كررها عشرات المرات . . . حتى إذا أتعبه النداء ترنم بالبيت الخالد:

قد يهون العمر إلاّ ساعة   وتهون الأرض الاّ موضعا

الدواة بيت شوقي الذي يفضله على سائر ما نظم الشعراء من أبيات

القلم كما يفضل قائله على سائر الشعراء . وظل يغني بصوته العريض

الدواة ماذا ؟ هو يغني ؟ . . .

القلم وماذا عليه إن غنى وسامعوه البحر والأمواج والصخور ؟

الورقة البيضاء وأنت . . .

الدواة لقد كان الخائن معها قبل هنيهة ، فهل اشتاقها بمثل هذه السرعة ، حتى يحن اليها هذا الحنين ؟

القلم إذا لم أخطىء كان غد يوماً فاصلاً

الدواة لا بد من عمل حاسم

الورقة البيضاء يجب أن ننقذه من الهوة الفاغرة فاها تحت قدميه ، وننقذ أنفسنا من موت محتم

القلم ونردّه الى من خلق لهم وخلقوا له من دون الناس أجمعين ومن دون سائر الكائنات ، إلينا نحن

الدواة بناة اسمه ومجده وخلوده

الورقة البيضاء وماذا تريان ؟

القلم سأجرح قلبه بيدي حتى تتفجر منه الدماء ، فيعود الينا !

الورقة البيضاء واشوقي اليه ! إنهُ لا يعرف التحليق إلاّ على صدري ؟

الدواة ولا يعرف الاعماق إلاّ في قاعي

القلم ولا يسمو إلاّ بي

الدواة ولكن أخاف إن هدمت حبه أن ينتقم منا

القلم كيف ؟

الدواة إذا لجّ به اليأس أغرقه في الكؤوس ، وجذبته الموائد الخضراء فكنا حفاري قبره بدلاً من أن نكون بناة مجده

القلم كلاّ كلاّ أنا أدرى به منك ، فلا تخافي. إن فيه شعلة العبقرية فهو إنسان موهوب . ولهذا الفريق المختار من الناس أقوى من الخمر ومن المائدة الخضراء ، ومن المرأة نفسها ! نحن الملجأ الأكبر والملاذ الأخير ، ولا غنى له عنا

الدواة وماذا أنت فاعل ؟

القلم سأنفذ خطة عبقرية أستوحيها من موعد الغد . سأكتب اليها رسالة مغفلة أن سر موعدها لم يبق سرًّا . فقد فضحه صاحبنا وفاخر به وتباهى بين جمع من خلانه.

الورقة البيضاء يا لك من مغامر جريء !

القلم لا يقدم على العظائم إلاّ المغامرون !

الدواة واذا لم تصدقك ؟

القلم وكيف لا تصدقني وموعدهما سرٌّ من الأسرار ؟ فاذا كان لها بقية من كبرياء أحجمت ، ثم انقلب حبها بغضاً لمن عبث باسمها وبحبها ، وأنا لها بالمرصاد

الدواة وماذا علينا أن نفعل؟

القلم تعينانني على الكتابة

الورقة البيضاء أنت ؟! تكتب وحدك ؟ !

القلم صمتاً ، لولا حاجتي اليك لمزقتك شر ممزق ! كيف لا أكتب وأنا القلم !

الدواة إذن هاك قلبي فاغرف منه ما تشاء

الورقة البيضاء وهاك خدي فاكسه بما تريد

السِتار

المشهد الثالث

الزمان — قبيل منتصف الليل

الدواة ماله زائغ النظرات كأن به مسًّا من الجنون ؟

الورقة البيضاء لقد قضينا عليه ، ودسنا قلبه ، وحطمنا حبه ولم نفد شيئاً

القلم مهلاً فلا بد من أن يعود !

الدواة رأيته أمس يجهش بالبكاء وينتحب كثكلى فقدت وحيدها

القلم إنهُ أتعس من الثكالى

الورقة البيضاء ألم يحاول ان يتصل بها ؟

القلم بلى ، لكنهُ كان يقابل بالإعراض من جانب خدمها ، وبالصمت المستمر من جانبها هي

الدواة إذا استمرَّ على هذه الحال فقد عقله

القلم لا تخافي ، إنهُ لا يزال تحت تأثير الصدمة الأولى ، ولا بد أن يثوب إلى رشده ، حين يصبح هواه ذكرى ، وخيالا

الدواة وعندها

القلم يأتي دورنا نحن ...

الورقة البيضاء خيل إليَّ أمس أنني أسمع وقع خطاه . والواقع أنهُ اقترب مني ، ولكنهُ لم يلبث أن انفجر بكلام غير مفهوم

القلم كانت الصدمة أليمة بقدر ما كانت آماله كبيرة وشوقه اليها عنيفاً

الدواة لقد أحكمت تسديد السهم

القلم وكانت إصابتي جد موفقة . لقد طعنتها في الصميم . فانقلب حبها الى كراهية شديدة ، وحقد لا يحسنه إلاَّ النساء

الدواة وأصبت عصفورين بحجر واحد

القلم جازفنا بكل شيء، ولعبنا لعبة الموت والحياة

الدواة وهل تعتقد أننا فائزون ؟

القلم كل الاعتقاد . لا بل ان بي مثل اليقين أنهُ آتٍ عما قريب . ألم ترَ كيف دخل علينا أمس ؟

الدواة لكنهُ لم يلبث أن خرج الى العراء

(يسمع وقع خطوات في الخارج ، فتطفأ الانوار ، ويسدل الستار هنيهة ثم يرتفع)
(فاذا القلم والورقة والدواة قد تزايلت كأشخاص وعادت جماداً يسيطر عليه الكاتب)

الكاتب (مكباً على المنضدة يكتب في حمى الوحي بُرهة من الزمن ، ثم يلقي القلم من يده ويحدق الى الورقة وقد كستها السطور وينشد بصوت حنون ، خارج من أعماق أعماقه)

يا فؤادي أقصر ! فهذا غرامي   قد تلاشى وهذه أحلامي ...
كغيوم مجنونة شاردات   تتبارى في أفقها المترامي

. . .

قد خلعت الشباب عن منكبي العاني وما زلت في ضحى أيامي
أقطع العمر مثلما يقطع الليل شقيٌّ أعدَّ للإعدام

. . .

يا فؤادي خذلتني في غرامي   ومحوت الجنات من أحلامي
وعزائي الذكرى وربَّ عزاءٍ   كان للنفس باعث الآلام
كلما رنّت القوافي بأذنيَّ   رأيت الماضي القريب أمامي
خلق الشعر للحنين وعندي   نغم اليأس أعذب الأنغام
وقعتهُ نفسي وغنتهُ أشعاري وأملاه في الشقاء غرامي
كل بيت أرمي به في قصيدٍ   قطعة من صميم قلبي الدامي ..

(يكب الكاتب على المنضدة ويروح في سبات عميق ، كأنه محطم)
(الاعصاب من سهر الليالي ، فتعاود الاشياء حياة الاشخاص)

القلم أرأيتما ؟

الدواة وافرحتاه ، عاد الينا ، وعادت معهُ الحياة !

الورقة البيضاء ونعمت بملامسة يديه ، ودفء لهاثه !

القلم (للدواة) لقد روّيت شفتي من ينبوعك العذب

الدواة لا أبعدك الله عني يا حبيبي

القلم (للورقة) وطبعت على خدك الأملس قبلة ما كان أشوقني اليها !

الورقة البيضاء ما رأيك في ثوبي هذا ؟

القلم إنهُ لطرفة رائعة . ولكن اجدي فها هوذا يتحرك !

(يتململ الكاتب ثم يفيق شيئاً فشيئاً فتبدو عيناه مقرحتين ، ثم يتأمل الابيات ،)
(ويأخذ ورقة جديدة ويشرع في الكتابة برهة حتى اذا انتهى قرأ فيما بينه وبين نفسه)

الكاتب إبكِ يا قلب دماً فان التي عبدتها قد طواها الأمس القريب !
ويا عينيّ انطفئا فلن تقعا بعد اليوم على محيّاها الصبيح !
ويا شبابيَ اذبل قبل أوانك فقد كبرت مائة عام في عشرة أيام

ربّاه ! لو كنت أدري لماذا أعرضت بعد إقبال ، وسخطت بعد رضاء ، وامحت من حياتي ، كما يغيب نجم شعَّ هنيهةً في سمائي فأنار ظلمة حياتي كلها

رحماك ، حبيبتي ، سأظل أناديك ، وأغنيك ، وأخاطبك ، حتى تأتي إليّ ، أو تأتيني الراحة الكبرى ، فأنحدر الى رمسي وعلى شفتي اسمك المعبود !!

(يخرج الكاتب من الغرفة محني الظهر ، ثقيل الخطى ، كأنه في الستين من عمره)

الدواة رباه ، ما أشد حزنه ؟

القلم لقد بدأ يحس وخز الألم الاكبر ، وما هذه إلاّ البداية

الورقة البيضاء وعاد معنا سيرته الاولى فأصبحنا في عرسٍ دائم ..

القلم أجل ؟ نحن في عرسٍ ، ما دام قلبه في مأتم .

بعقلين — لبنان — صيف سنة ١٩٤٣

من ملاحق كتاب « رسوم دار الخلافة »

المآصر في بلاد الروم والاسلام

– ٣ –

لميخائيل عوّاد

(د) المآصر في كتب الأدب

لم يترك الشعراء الأوائل ناحيةً من مناحي الحياة ، ولا مرفقاً من مرافقها إلاّ قالوا فيهِ شعراً . وها إن أبا العباس عبد الله بن المعتز بالله يتطرق الى ذكر المآصر في شعر خالدٍ له . فأنشد :

بالكرخ والميدان لي منزلٌ   ولذتي القفص وقطربل (١)
وخير مال لي طيارةٌ (٢)   تدبر بي في السير أو تقبل
يلاطم الماءَ مجاديفَها   حاملةٌ لكنها تُحمَلُ
غايتُها قصرُ حُميْدٍ وفي   بستانِ بشرٍ دهرُها الأطولُ
وإن نجد من مأصِرٍ غفلةً   تطِرْ الى كركين (٣) لا تعدلُ (٤)

وكان القاضي المحسّن التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) ممّن نبّه الى المأصر الأسفل ، إذ سرد حكاية طويلة جاءَ في آخرها : « فتوجه النفّاطون والرجّالة الى الزورق فضربوه

---

(١) لنا مقال لم ينشر بعد بعنوان « مواطن القصف واللهو في العراق ، أيام العباسيين » ، وفيه كلام على هذه المواقع (٢) طيارة ، انظر « الذيل » رقم ١

(٣) كركين : بضم الكافين ، من قرى بغداد ، كانت أحد مواطن القصف واللهو . ولها أخبار في معجم البلدان (٤ : ٢٦٣) . (٤) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ، وهو الجزء الثالث من كتاب الاوراق لابي بكر محمد بن يحيى الصولي (ص ٩٨ طبعة هيورث دن في القاهرة)

بالنار ، وأقبل الملاّح يلطم ويصيح ويقول : يا قوم فيه أموال الناس . . . . وأحرقت قُلوس الزورق التي كانت تربطهُ وتمسكه ، . . . فانحدر مع الماء لنفسه والنار تشتعل فيه ، فوقع على الجسر فقطعهُ وانحدَر حتى انتهى الى موضع معسكر سيف الدولة (لعله ابن سيف الدولة) ، وكان نازلاً في المآصر بواسط » (١)

(هـ) المآصر في كتب الإدارة والسياسة

لم نقف في المراجع التي تدخل في هذا الباب على أقدم مما ذكره القاضي أبو يوسف (المتوفى سنة ١٨٢ هـ) — صاحب الإمام أبي حنيفة — ، قال : « وحدّثنا قيس بن الربيع عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن أبي الزبير أنهُ قال : إن هذه المآصر والقناطر سُحْت لا يحلّ أخذها ، وبعث عمالاً الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من مأصرة ، أو قنطرة ، أو طريق شيئاً ، فقدموا ، فاستقلّ المال . فقالوا : نهيتنا . فقال خذوا كما كنتم تأخذون » (٢)

وقد مرّ بنا غير نبأ عن المأصر الأسفل بصريفين واسط ، وها هوذا هلال الصابىء يتطرّق الى ذكره في مجرى كلامه على أحوال دار الخلافة العباسية ببغداد . قال : « ... ومن ذلك النفقات التي تطلق في كل سنة لثمن الجوارح وكسوة الكراع ، وثمن القُلوس المأصر الأسفل ، وثمن الكماة المقددة : اثنين وأربعين الفاً وسبعة دنانير » (٣)

وقبل الانتهاء من هذا الباب ، نورد أخباراً تشبه أن تكون ذات صلة وثيقة بالمآصر النهريّة . فقد ساق مسكويه في حوادث سنة ٣٣١ هـ هذا الخبر : « كان رسم مراكب ابن وجيه أن تُشدّ بعضها الى بعض بالليل في عرض دجلة فيصير كالجسر ، فلما كان في الليل ونام الناس وكلّ مَن في المراكب ، أشعل ذلك الملاّح السعف ، وأرسل الزورقين والنار فيهما ، فوقعا على تلك المراكب والشذاءات ، فاشتعلت واحترقت قُلوسها واحترق مَن فيها . . . » (٤)

وما من شك في أن ابن وجيه ، إنما عمد الى عمله هذا الذي ينطوي على المكر والإيقاع ، اصطياداً للسفن المنحدرة في دجلة وسلباً لما تحمله من مالٍ وزاد

---

(١) نشوار المحاضرة (٨ : ٩٤ ، نشرة المجمع العلمي العربي بدمشق) (٢) الخراج لأبي يوسف (ص ٨٠ ، طبع بولاق) (٣) دنانير ، « انظر الذيل » رقم ٢ (٤) تجارب الامم (٦ : ٤٦)

وروى الوزير أبو شجاع في أحداث سنة ٣٨٦ هـ ما جرى عليه أمر لشكرستان بالبصرة الى أن استقرَّ ما بينهُ وبين مهذب الدولة من الصلح . قال : « فاختلفت الرواية في دفعه عنها ، فقيل إنّ أهل البصرة قويت نفوسهم فوثبوا على الديلم ، وانصرف لشكرستان من غير حرب الى أسافل دجلة ، وقيل بل عقد جسراً في الموضع المعروف بالجلّ وقال : الديلم يرمون كلّ مَن يرد من نهر عمر . وجعل أمامه سلسلة حديد ممتدة من إحدى حافتي نهر ابن عمر الى الأخرى ليدفع عن الجسر ما يرسل على الماء من شاشات القصب المضرمة بالنار تغوص بثقلها فتعبر الشاشيات عليها فتغرقها ، فوافى عسكر البطيحة من نهر ابن عمر وجمعوا قصباً كثيراً بعرض النهر وأرسلوه مضرماً بالنار ، وجعلوا سفنهم التي فيها مقاتلتهم من ورائه ، فوقع على السلسلة وتقطعت وعلى السفن الصغار فاحترقت ، ووصل الى الجسر ، ودخل عسكر البطيحة البصرة يقدمهم ابن مرزوق وعسكره الى الجزيرة .... » (١)

وحكى ابن كثير في أخبار سنة ٦٩٠ هـ أنهُ « جاءت البريديّة لغزو العراق ، ونودي في الناس بذلك ، وعملت سلاسل عظام بسبب الجسورة على دجلة بغداد .... » (٢)

يؤخذ مما تقدّم أن المآصر النهرية كانت منبثّة في غير مكان على دجلة والفرات ، على أن أهمها ما كان في : بغداد (وفي أعلاها المأصر الأعلى) والحوانيت ودَير العاقول ، والعَلْث ، والكوفة وصريفين واسِط (وعندها المأصِر الاسفل)

﴿ الذيل ﴾

(١) الطيارة ، ويقال فيها الطيار : ضرب من السفن النهرية القديمة ، أكثر ما اتخذ في العراق لركوب العظماء . فقد أخبرنا ابن الجوزي (المنتظم ٩ : ١٣٠) في حوادث سنة ٤٩٥ هـ ، خبر طيار شهير عرف بطيار جلال الدولة البويهي . قال أبو الفرج « وفي يوم الثلاثاء حادي عشر المحرّم جلس المستظهر لمحمد وسنجر ، واجتمع أرباب المناصب في التاج ، ونزل كمال الدولة في الزبزب وأصعد الى دار المملكة فاستدعاهما فنزلا في الزبزب ، وكان الطيار قد شعث وغاب وهو الذي انحدر فيه والدهما جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه الى دار الخلافة حين جلس له المقتدي بأمر الله ، وانحدر فيه طغرلبك حين جلس له القائم بأمر الله . وهذا الطيار كان لجلال الدولة أبي طاهر بن بويه وأنفق عليه زائداً على عشرة آلاف دينار ،

---

(١) ذيل تجارب الامم (ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ، طبعة آمدروز)

(٢) البداية والنهاية (١٣ : ٣٢٢)

وأهداه للقائم ، وجددت عمارتهُ في سنة سبع وأربعين ، وتشعث في أيام المقتدي فجددت عمارته وحط الى دجلة ، فـكان للناس في تلك الأيام من الفرجة بدجلة عجائب ، ثم هدم »

والظاهر أنهم سموه بالطيار ، لأنهُ من السفن الخفيفة السريعة الجريان ، كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء . وقد أفاض الكلام فيها العلاّمة الطيب الذكر أحمد باشا تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٢ «١٩٢٢» ص ٣٢١ — ٣٢٤)

وما ذكرناه ها هنا ، وكل ما جاء عن السفن في هذا البحث ، مختصر من كتاب « السفن والمراكب في بلاد الاسلام والفرنج » من تأليف كاتب هذا المقال وأخيه كوركيس عوّاد وهو ما زال مخطوطاً

(٢) رسوم دار الخلافة (الورقة ٣٠ من المخطوط) وهو كتاب أعددناه للنشر بعد أن حققناه وعلقنا عليه ، وألحقنا بهِ فهارس مفصَّلة وملاحق منوّعة . والمقال الذي بين يديكَ أحد تلك الملاحق . طالع ما كتبنـاه بشأنهِ في : مجلة الرسـالة (العدد ٣٦٢ ، ص ٩٧٧ — ٩٨٠) . وهناك إشارات متفرقة عنهُ في الرسالة أيضاً (العدد ٤٨٥ ، ص ٩٧٩ ٩٨١ ، والعدد ٤٨٦ ، ص ١٠٠٦ — ١٠٠٧) . والثقافة (العدد ٩٨ ، ص ٣٩ ، والعـدد ١٩٨ ، ص ٥ — ٨ ، والعدد ١٩٩ ص ١٩ — ٢١ ، والعدد ٢٠٠ ، ص ١٩ — ٢٠) ، والمقتطف (٩٨ « مارس ١٩٤١ » ص ٢٤١) ، ومجلة غرفة تجارة بغداد (٤ « ١٩٤١ » ص ٢١١)

حقائق جديدة

عن الشمس

* قام الدليل في بحث مقـارن بين طيف الذهب وطيف الشمس ، على وجود الذهب في الشمس

* وقام الدليل الطيفيُّ كذلك على وجود عنصر الثوريوم في الشمس ، وهو من العناصر المشعة النادرة

* بدأت دورة جديدة من دورات الـكلف التي تظهر على وجه الشمس ، ومدتها إحدى عشرة سنة وثلث سنة

الدين والفلسفة

التوفيق بينهما في المغرب

لمحمد يوسف موسى

١ — نترك الآن فلاسفة المشرق الى إخوانهم في المغرب فنجد أن أبا بكر محمد ابن يحيي ، المعروف بابن الصائغ وبابن باجه والمتوفى عام ٥٣٣ هـ ، لم يصل إلينا عنه ما يدل على عنايته بهذه المشكلة التي شغلت مفكري الاسلام جميعاً . ولكن المستشرق الفرنسي جوتييه Gauthier يؤكد بحق (١) أن ابن باجه لم ينس هذه المشكلة ، وإنما قصر أجله وكثرة مشاغله حالا بينه وبين أن يخصص لها رسالة من رسائله كما فعل أسلافه ، فقد عاش عيشة مضطربة وشغلته الدنيا حتى فجأته المنية قبل ظهور علمه وبث حكمته ، كما يقول ابن طفيل (٢)

وهذا التأكيد من « جوتييه » له ما يبرره ، إذا لاحظنا أنهُ عاش في بيئة كان يخشى فيها المفكر الحر على نفسه ، وان ابن باجه نفسهُ استثار عداوة كثير من مناوئيهِ وحساده — ومن بينهم الفتح بن خاقان — فأثاروا عليه الشعب والحكومة واتهموه بالالحاد والخروج عن الدين (٣) . رجل هذا شأنه بين هؤلاء الأعداء والحساد ، كان حريًّا لو امتد به العمر أن يدفع عن نفسه تهمة الالحاد بعمل يبين به أن الفلسفة والدين يتفقان ، وأنهُ ليس من العدل أن يقرف المرء بالالحاد لأنهُ فيلسوف ، ولكن أولئك الأعداء عاجلوه فدسوا له السم فمات منه كما يقال

٢ — أما ابن طفيل ، الذي عاش عيشة هادئة متمتعاً فيها برعاية أسرة الموحدين حتى توفى عام ٥٨١ هـ في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب ، فقد عني كما يذكر المراكشي بالتوفيق

---

(١) نظرية ابن رشد ص ١٦٤ (٢) حي بن يقظان ، نشر مكتب النشر العربي بدمشق ص ١٤
(٣) ابن ابي أصيبعة ج ٢ ص ٦٢

بين الدين والفلسفة ، حتى إنه من الممكن أن يقال مع « جوتييه » إن الغرض من قصته الفلسفية « حي بن يقظان » كان إظهار هذا الاتفاق والتدليل عليه . فانه لما التقى بطله « حي » — بعد أن وصل الى الحقيقة بالنظر — « بآسال » وقد عرفها من الدين ، وقصّ كل منهما على الآخر قصته ، ثبت لهما أن الحقائق التي عرفها أحدهم بالتفلسف تطابق تماماً الحقائق التي عرفها الآخر من الدين (١)

وقد انتهى مؤلف « حي بن يقظان » الى ما انتهى اليه أسلافه من أن الناس طبقات . فمنهم من لا يستطيع أن يطيق معرفة الحقائق عارية بذاتها ، فالخير لهُ في الانتفاع بالشريعة وما ضربتهُ لهذه الحقائق من رموز وأمثال ، ومنهم الذين وُهبوا استعدادات وعقولاً ارتفعوا بها عن العامة ، وهؤلاء تفيدهم المكاشفة بالحقائق ذاتها (٢) ولهذا رأى ، كما رأى أرسطو والفلاسفة الآخرون من قبل ، أن هناك تعاليم باطنة للخاصة وأخرى ظاهرة علنية للعامة ، فيجب أن نجعل كل نوع منها لطائفة خاصة لا يصلح أمرها إلاّ بهِ ، وبذلك لا يصطدم الدين بالفلسفة ، بل يتقرر بينهما السلام

٣ — وصلنا الآن الى أعظم فلاسفة المسلمين بالأندلس ، أعني الى أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد المتوفى عام ٥٩٥ هـ ، الذي كانت محاولته في التوفيق بين الدين والفلسفة خلاصة جهود من سبقوه في هذا الطريق وتاجها ، مضافاً إليها ما شاء له عقله القوي وتفكيره السديد

والباحث إذا رجع الى العصر الذي عاش فيهِ فيلسوف قرطبة ، ومثل لنفسه الأثر الخطير الذي أحدثهُ الغزالي ضد الفلسفة والتفكير الحر بكتابه « تهافت الفلاسفة » ، عرف أن ابن رشد كان في حاجة ماسة مُلحّة لبذل الجهود لإماتة هذا الأثر أو إضعافه على الأقل ، وذلك بمحاولة لها دعائمها القوية يضع فيها الحدود الواضحة للعلاقة بين الوحي والعقل حتى لا يقوم بينهما بعدُ خصومة أو عداء . كان لا يسعه إلاّ أن يعمل هذا ، ليصل الى تجلية ما كان يعتقد من مؤاخاة الشريعة للفلسفة وتعاضدها في سبيل المعرفة والسعادة الخاصة والعامة

لقد خصص ابن رشد لهذه الغاية كتابيه : « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » و « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » ، وذلك فضلاً عن تناولها في

---

(١) حي بن يقظان ص ٥٠ ، وجوتييه ص ١٧٠ — ١٧١

(٢) حي بن يقظان ص ١٣٧ — ١٤٠ ، وجوتييه ص ١٧١ — ١٧٣

مناسبات مختلفة في كتابه « تهافت التهافت » . ووضع لهذه الغاية طريقاً يؤدي في رأيه اليها ، ومبادئ تقوم عليها ، هذه المبادئ هي :

ا — الاستدلال بالقرآن والحديث على وجوب النظر العقلي أو التفلسف ، وبيان أن ما يؤدي اليه هذا النظر لا يمكن أن يخالف الشريعة . وقد وجد من القرآن وحديث الرسول ما أسعفهُ بما أراد من وجوب النظر والتفكير والسعي الى الحكمة ، ثم وصل من هذا الى التأكيد بأنهُ من المقطوع بهِ أن كل ما أدى اليهِ البرهان وخالفه ظاهر الشرع فإن هذا الظاهر يقبل التأويل، حتى لا يصطدم العقل بالشرع (١)

ب — بيان أن العقول والاستعدادات للادراك تختلف ، ولهذا انقسم الشرع الى ظاهر له أهله من العامة وأشباههم ، وباطن لهُ أهلهُ وهم ذوو البرهان . ومن أجل ذلك يرى ابن رشد انقسام الناس الى طوائف ثلاث : الخطابيون وهم الجمهور الذي يصدق بالأدلة الخطابية ، وأهل الجدل ومنهم المتكلمون الذين ارتفعوا عن العامة ولكن لم يصيروا من أهل البرهان اليقيني ، والبرهانيون بطبعهم وبالحكمة التي أخذوا أنفسهم بها (٢)

وذلك التفاوت في الفطر والعقول الذي جرّ الى هذا التقسيم يجب أن يكون له أثره في اختلاف التعاليم التي يؤخذ بها كل طائفة أو فريق ، فللجمهور وأشباهه من الجدليين — الذين لا يطيقون الوصول الى التآويل الصحيحة — الايمان بظواهر النصوص الشرعية وما ضرب لهم من رموز وأمثال ، وللعلماء أهل البرهان الايمان بالمعاني الخفية التي ضربت تلك الأمثال والرموز لتقريبها من العقول وهذا يكون بتأويل النصوص . ويجب أن يجعل كل نوع من هذين التعليمين لطائفته الخاصة ، لأن جعل الناس شرعاً واحداً في التعليم خلاف المحسوس والمعقول (٣) ، إذ التكلم مع الجمهور على النحو الفلسفي يكون بمنزلة إعطائهِ طعاماً هو سمٌّ له وإن كان غذاء للآخرين (٤)

ج — وضع قواعد عامة لتأويل ما يجب تأويله من نصوص الشريعة ، لبيان متى يكون التأويل ، وكيف يكون ، ولمن يصرح بهِ ؟

وفي هذا يرى أن هناك نصوصاً يجب على أهل البرهان تأويلها ، وحملها على ظواهرها كفر ، لأن الواجب عليهم الايمان بما فيها من معانٍ خفية ، كما يجب على العامة حملها على

---

(١) فصل المقال ، طبع ميونيخ ، ص ٧ — ٨ (٢) الكشف عن مناهج الادلة ص ٢١

(٣) نفسه ص ٧٩ (٤) تهافت التهافت ، نشر بويج ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧

ظواهرها ، وتأويلهم لها كفر ، لأن المفروض عليهم الايمان بالظاهر . من هذه النصوص قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، ونحوه مما يوهم من القرآن والحديث أن الله جسم وينتقل من مكان الى آخر (١) . ويصوغ من هذا كله مبدأ عامًّا ، فيقول بعد ما تقدم : « إن من كان فرضه الايمان بالظاهر فالتأويل في حقه كفر ، إن كان هذا في أصل من أصول الدين لأنهُ يؤدي اليه (٢) وغني عن الذكر أن من كان فرضه التأويل يكون الأمر بالعكس بالنسبة اليه بصفة عامة أيضاً

وبعد هذا يتشدد في وجوب عدم إذاعة التأويل لغير أهله ، ومن ثمَّ يلوم اللوم كله الغزالي والمتكلمين عامة لاثباتهم التآويل في كتبهم فذاعت بين أهلها وغير أهلها ، وكان من ذلك أن عاب قومٌ الشريعة وعاب آخرون الحكمة ، وأن مزقوا الشرع وأوقعوا الناس في شنآن وحروب (٣)

د — بيان الطريقة المثلى للاستدلال على ما اختُلف فيهِ من المسائل بين رجال الدين ورجال الفلسفة ، كعلم الله وقدم العالم والتفرقة بين القدم الزماني الذي يتصف به العالم — في رأي الفلاسفة — والقدم الذاتي الذي لا يتصف به إلاّ الله وحده ، والدار الآخرة وكيفية ما يكون فيها من حساب

لقد طبق ابن رشد ، في بيان هذه المسائل وإثباتها ، ما قرره سابقاً من ضرورة ملاحظة اختلاف العقول وما يعتبر نتيجة له من اختلاف التعاليم . والكلام في تلك المسائل يطول ، وليس هذا موضعه ، لذلك نجتزئ بما أشرنا اليهِ من طريق معالجتها بياناً وإثباتاً بتطبيق ما قرره من مبادئ عليها

ه — وأخيراً بيان الوحي ما هو ، وتحديد الصلة بينه وبين العقل ، وبيان الحاجة الى الشريعة مع الفلسفة ، ثم بيان ما يجب أن يُعتقد ويُفهم في النبوة والمعجزات

وقد تكون هذه المسألة الأخيرة ، مسألة الوحي والنبوة ، أهم ما يتعرض له من يحاول التوفيق بين الدين والعقل ، لذلك كان لابد من أن يقول فيها ابن رشد كلمة صريحة لا لبس فيها ، ولقد قالها

ذكرنا أن ابن رشد خصص كتابيه « فصل المقال ، والكشف عن مناهج الأدلة » لمشكلة

---

(١) الكشف ص ١٦ (٢) الكشف ص ١٧ (٣) فصل المقال ص ١٧ — ١٨ ، ٢٣

التوفيق بين الدين والفلسفة ، وأنهُ عالجها أيضاً في كتابه تهافت التهافت . ونذكر الآن أن الباحث يدهش إذا تتبع رأي فيلسوف قرطبة في هذه المشكلة كما عرضه في هذه المؤلفات الثلاثة، ويكاد يرى نفسه مضطرًّا للحكم عليه — إذا جعل نصوص هذه المؤلفات كلها بمنزلة سواء — بالتناقض او الرغبة في إيهام القارىء وتضليله !

*

انهُ يعلن أن هناك أموراً تعجز العقول الانسانية عن معرفتها ، وإذاً فلنرجع للوحي الذي جاء متمماً لعلوم العقل ، «لأن كل ما عجز عنه العقل أفاده الله للانسان من قِبَل الوحي» (١) كما يعلن أن الفلسفة تعنى بفحص ما يجيء به الشرع ، فأن أدركته كان هذا أتم في المعرفة ، وإلاَّ أعلنت بقصور العقل الانساني عنه وأن هذا مما يدركه الشرع وحده » (٢) ويعلن أيضاً أن تلك الأمور ، وكلها ترجع الى معرفة الله والسعادة والشقاء الانساني في الدنيا والآخرة واسبابهما ، لا تعرف كلها أو معظمها إلاَّ بوحي أو يكون معرفتها بوحي أفضل » (٣) ولا عجب عنده في هذا ؛ لأن « الفلسفة تنحو نحو تعريف بعض الناس سعادتهم ، وهم من عندهم استعداد لتعلمها ، أما الشرائع فتقصد الى تعليم الجمهور عامة » (٤) ولهذا كان العلم الذي يأتي به الوحي رحمة لجميع الناس (٥)

بينما يعلن ابن رشد هذا كله ، مما لو حكمنا عليه به نجعلهُ من الفلاسفة غير العقليين ، نراه في « فصل المقال » يشيد بعلوّ النظر العقلي ، حتى إنه ليقطع « بأن كل ما أدى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي » (٦) وهذه القضية — التي لا يشك فيها مسلم كما يقول — يعظم ازدياد اليقين بها عند من قصد الجمع بين المعقول والمنقول ، « فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنهُ لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد بهِ الشرع ، فإن الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له » (٧) وبعد أن يقرر هكذا قيمة النظر العقلي وعلوّه ، نراه يؤكد قدرتهُ على الوصول الى كل الحقائق ، التي يجيء بها في الوحي في شكل رموز وأمثال ، ويعرفها عقل الفيلسوف عارية خالصة ، وهذا هو السبب فيما سبق ذكره من انقسام الشرع الى ظاهر وباطن ، « فان الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني ، والباطن هو تلك المعاني التي لا تتجلى إلاَّ لأهل البرهان» (٨)

---

(١) تهافت التهافت ص ٢٥٥ (٢) نفسه ص ٥٠٣ (٣) مناهج الادلة ص ١٠١ (٤) تهافت التهافت ص ٥٨٢ (٥) نفسه ص ٢٥٦ (٦) فصل المقال ص ٨ (٧) نفسه ص ٧ (٨) نفسه ص ١٥

هكذا يظهر لنا ابن رشد في هذه المشكلة ، مشكلة الوحي والعقل ، متعارضاً أو متناقضاً في بادئ الرأي . تارةً يلوح أنهُ غير عقلي فيتبع العقل للوحي كما يبين من نصوص التهافت والمناهج ، التي اعتمد عليها وحدها الأستاذان « مِهْرن Mehren » و « ميجيل آسين Miguel Asin » فأثبتا له نزعة غيرعقلية تجعل العقل تابعاً للعقيدة والفلسفة تابعة للدين في بعض مسائل أساسية (١) وتارةً يكون عقليًّا بمعنى الكلمة ، يوجب — كما رأينا — تأويل النصوص الشرعية التي تخالف بظاهرها ما يؤدي اليه النظر البرهاني الصحيح

لكن الباحث — ليدفع هذا التعارض أو التناقض الظاهري — يجد من الحق أن يرد نصوص المناهج والتهافت الى نصوص « فصل المقال » الذي ألفه خاصة ليكشف رأيه في مسألة الصلة بين الحكمة والشريعة، على حين لم يكن الأمر كذلك في الكتابين الآخرين، وعلى حين كان غرضه من « تهافت التهافت » الرد على الغزالي واظهار الفلاسفة في آرائهم بمظهر لا يختلف عن الدين ليطمئن رجاله ويفرخ روعهم ! وبهذا يكون فيلسوف قرطبة غير متناقض في رأيه وموقفه وفهمه للصلة بين الدين والفلسفة ، وتكون نزعته عقلية لا عوج فيها ولا التواء

وقد يؤكد هذا الذي نرى من تأويل نصوص المناهج والتهافت لتتفق ونصوص فصل المقال ، ما ذهب اليه ابن رشد نفسه في مسألة النبوة والمعجزات مما لا يختلف عما ذهب اليه الفارابي وابن سينا، أي من أن النبوة حادث طبيعي معقول يكون بالوحي عن الله، بتوسط ما يسمى عند الفلاسفة بالعقل الفعال وعند رجال الشريعة ملكاً (٢) وأن الوصول لهذا يكون ببلوغ القوى المتخيلة والعقلية الكمال فتطلع الاولى على اللوح المحفوظ وما فيه من غيب وتنتقل الثانية من معلوم الى آخر بالحدس انتقالاً سريعاً حتى لا يحتاج الى تعلم ، وان المعجزة كذلك أمر يتفق دائماً مع العقل وقوانين الطبيعة (٣) فليس يحتاج في ذلك الى أن نقرر أن الأمور الممتنعة في العقل ممكنة في حق الانبياء(٤)، وأن المعجزات تكون متى بلغت القوة النفسية العملية حد الكمال فيستطيع صاحبها أن يؤثر في الأمور الطبيعية — مثل نزول مطر وحدوث زلزلة — ويسخرها له كما تؤثر نفس الانسان عادة في جسمه وفي غيره من الناس ايضاً إن كانت هذه القوة النفسية قوية الى حدٍّ ما

---

(١) يرجع فيما يختص بالاول الى رسالته : دراسات في فلسفة ابن رشد تتعلق بصلتها بفلسفة ابن سينا والغزالي ، وفيما يختص بالثاني الى جوتييه في كتابه نظرية ابن رشد

(٢) تهافت التهافت ص ٥١٦ وجوتييه ص ١٤٥

(٣) جوتييه ص ١٤٦

(٤) تهافت التهافت ص ٥١٥

وأخيراً فيما يختص بابن رشد ، نرى أن رأيه في فهم الصلة بين الدين والفلسفة ووجوب التوفيق بينهما على النحو الذي رآه هو ما ذهب اليهِ سلفاه العظيمان الفارابي وابن سينا ، وإذاً فليس من الحق ما ذهب اليهِ بعض الباحثين المصريين من أن طريقة ابن رشد في التوفيق تختلف عن طريقة الفارابي وابن سينا . إن هذا الاستاذ الباحث يرى أن هذين كانا يعملان على التوفيق حقيقةً بين الوحي والعقل ببيان أنهُ بالتعمق في العقل والوحي يرى أنهما يتطابقان ويعبران عن حقيقة واحدة

أما مذهب ابن رشد — فيما يقول — فلا يزيد عن أنهُ فصل لنفوذ الدين عن نفوذ الفلسفة ، ما دام قد جعل الأول للعامة والثانية للصفوة المختارة ، وفصل للتعاليم الدينية عن التعاليم الفلسفية (١)

وهذا الذي يراه الأستاذ ، حين يوازن بين رأي ابن رشد ورأي الفارابي وابن سينا في هذه المسألة ، بعيد عن الصواب

ذلك . بأن ابن رشد يرى مثل سلفيه أنهُ لا فرق في الحقيقة بين ما يجيء عن الوحي وبين ما يؤدي اليهِ نظر العقل ، وفي هذا يقول — كما تقدم — إن النظر البرهاني لا يؤدي الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ، كما يرى أن الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة ، (٢) أو كما يعبر الاستاذ « جوتييه » أن الدين والفلسفة لغتان لحقيقة واحدة (٣) ، وهذا عين ما يراه الفارابي وابن سينا . وأما ما يوجبه ابن رشد من رعاية اختلاف التعاليم باختلاف طبقات الناس العقلية ، وبعبارة أخرى ما يوجبهُ من فصل مناطق النفوذ لكل من العقل والوحي ، فانهُ لا يجعل طريقته في التوفيق تختلف عن طريقة المعلم الثاني والشيخ الرئيس . ذلك لا يجعل إحدى الطريقتين توفيقاً حقيقيًّا ، والأخرى مجرد فصل بين السلطات ! وبخاصة وقد تبين مما تقدم أن ابن رشد مسبوق بالفارابي وغيره من فلاسفة الاسلام بنظرية تقسيم الناس الى طبقات تبعاً لاستعداداتهم العقلية ، ووجوب التفرقة لهذا بين ما يجب أن يكون لكل طبقة منها من التعاليم

---

(١) الاستاذ ابراهيم مدكور في كتاب مكانة الفارابي ص ٢١٧ — ٢١٨

(٢) فصل المقال ص ٢٦ (٣) نظرية ابن رشد ص ١٨٠ — ١٨١

الطبع الحيواني

بقلم كامل كيلاني

---

١ — الضعيف والقوي

إذا انتقلنا مع شيخنا « أبي العلاء » من الطبع الانساني الى الطبع الحيواني راعنا منهُ أنهُ لا يكاد يحمد للحيوان صفة واحدة إلاّ أنحى بالذم على غيرها

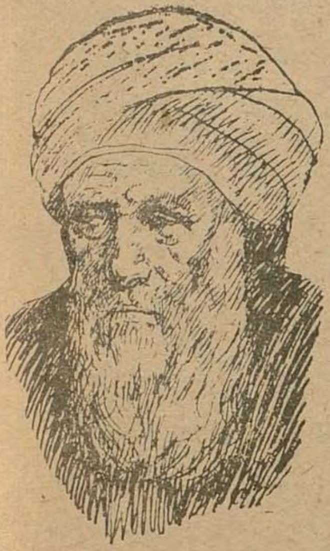

فهو في جمهور منظومه ومنثوره ، لا يفتأ ينعتهُ بالجور والإفساد ، ويصفهُ بالبغي والاستبداد ، ويعلن سخطه واستنكاره لما يشهده ويراه من فنون بغيه وأذاه

وعنده أن الحيوان كالإنسان — في كل صقع ومصر ، وفي أي عهد وعصر — ظالم معتد أثيم ، يفتك قويه بضعيفه ، ويستبد قادره بعاجزه ، لا فرق في ذلك بين سباع الطير وبغاثها ، وأسد الفلاة ومهاتها ، وهو يرى ما يراه أستاذه المتنبي : أن البغي أصيل في كل نفس ، برة كانت أو فاجرة :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

٢ — غريزة الظلم

والحمامة — على ضعفها — ظالمةٌ باغيةٌ ، وهي غادرة برَّة كانت أو فاجرة :

والشر في حيوان الأرض مفترق   والإنس كالوحش من ضار ومُبْتَقَلِ

وهي — فيما يرى شاعرنا — لا تتورَّع لحظة واحدة عن الفتك والأذى والعدوان متى هُيِّئ لها من أسباب الشر وطرائقه ما يحقق آرابها ، ويتيح لها ارضاءَ نزعاتها الباغية ،

ويكفل إرواء نزغاتها الظامئة الطاغية . فهي تظلم — ما وسعتها طاقتها الضعيفة — كما يظلم الأسد جهدَ طبيعته الباطشة الغلابة ، فهو يقول :

كادت تساوَى نفوسُ الناس كلهم   في الشرّ ما بين منبوز ونَبّازِ (١)
ظُلْمُ الحمامة في الدنيا ـ وإن حُسِبت   في الصالحات كظلم الصقر والبازي

والخِشْفُ — وهو ولد الظبية أول ما يولد — يحمل، على عجزه وضعفه، نفساً شرّيرة باغية ، لا تكاد تختلف عن نفس الأسد طبيعة وعنصراً ، ومعدناً وجوهراً، وكلاهما جدير أن يتقى شرُّه ، ويحذَر ضرُّه .

وإليك النص :

«خفْ من خِشف بغم (٢) ، كما تخاف من هزبر (أسد) ضغم (عض) ، فكل الأنفس مواطن الشرور ، وعنده أن الكل في الغفلة سواء :

وأم شبلين في غيل ومأسدة   كأم خشفين في شث وطباق (٣)

على أنه يوصيك أن تصنع المعروف دائماً في كل من تمكنك الفرصة من اسداء الجميل اليه سواء في ذلك الانسان والحيوان ، فهو يقول :

توخ الأجرِ في وحشٍ وإنس   ففي كل النفوس مرام أجر

وكأنما يشير بهذا البيت — في لباقة — الى مأثور الحديث :

ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأ كل منهُ طير او انسان أو بهيمة ِ الاَّ كان له به صدقة

٣ — طبيعة الخوف

ولا يفوت شاعرنا أن ينبه — فيما نبه اليه من طبائع الحيوان وغرائزه — ما جُبل عليه من طبيعة الخوف من القوي . فهو اذا قرر لنا في بعض فصوله ما تأصّل في طبيعة الانسان من الظلم ، فقال : « طبع النائم على الحلم ، والانسان على الظلمِ » — لم يَفُتهُ — في فصل آخر — أن يُصوّر ما طبع عليه الحيوان من غريزة الخوف من الفاتك الباطش : فيقول :

« المخلوق كما خلق
طُبعَ الهادلُ (الحمام)

---

(١) نبزه : لمزه ، ونبزه بكذا : لقبه به ، وهو شائع في الالقاب المستهجنة (٢) بغمت الظبية : صاحت الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، وبغم فلان صاحبه : لم يفصح له عن معنى ما يحدثه به (٣) يعني أن الظباة ـ في عرينها ـ كالظبية التي ترعى من النبات : الشث والطباق

على الخوف من الأجادل (الصقور) .
فالحمائمُ وإن سكن الأقفاص
وعلمن أن لا مفاص (أن لا خلاص)
يُحسنَّ النَّقرَ
ويخشينَ مخالب الصقرِ »
أو يقول :
« أرى حيوانَ الأرض يرْهبُ حتفهُ   ويفزعُهُ رعد ويُطمعهُ برْق »

٤ — براعة النحلة

وله ، الى ذلك فنون من المقابلات بين الانسان والحيوان ، لا يتسع هذا المقام لتفصيلها ، فلنقتصر على بعض ما أبدعهُ في المقابلة بين الانسان والنحلة ، قال :

«والجارسة (النحلة) تبني من الشمع أحسن مسكنٍ وتودعهُ طيِّب الأرْي(العسل) .
وزمازمُها تسبيحٌ لملهم الحكمة من أراد
فما فضيلة الصَّنع (الحاذق الكف بالصنعة)
اذا اتخذ قميصاً (دِرعاً) للحرب
كبارد الحَبَب (طرائق الماء)
أو بُرْدِ الحُباب (جلد الحية)

وما أروع قوله في تشبيه البارع الموهوب بالنَّحلة ، فهو بما أوتيه من مزايا نادرة ، وقدرة باهرة ، يرُدُّ الوحشيَّ من الكلام أنيساً ، كما يرد النحل ما يجنيه من نوْر الأزهار — وهو مرُّ المذاق — عسلاً سائغاً للشاربين ، فهو يقول :

« ردّت لطافته وحدّةُ ذِهنه   وحش اللُّغات أوانساً بخطابهِ
والنحل يجني المرَّ من نوْر الرُّبى   فيعود شهداً في طريق رُضابهِ »

٥ — رزق الحيوان

وهو — على هذا — دائم العناية ، موصولُ التفكير في الحيوان والانسان جميعاً ، ولهُ في ذلك فنون من روائع الصور ، تضيق بتفصيلها مُطوّلاتُ الأسفار بَلْهَ موجزات الفصول

ويُحسبُنا في هذه الوجازة أن نشير الى بعض ألواحه الفنِّية الرائعة التي تصوِّر ناحية من نواحي تفكيره العميق ، في تمثُّل العناية الالٓهية بكل حي من الأحياء ، وكيف كفلت

الرزق لجميع المخلوقات . فهو يعرض — في هذا اللوْح الفاتن — صورةً رائعة التفصيل تمثل بعض المصادفات التي تعدّها الأقدار لتهيئة الرزق لمن قسم لهم على غير انتظار

فهذا رجل يعتزم السفر فيعدّ للرحيل عدتهُ، ويدفعهُ الشرهُ الى التأنق في اختيار طيّبِ الزاد، والافتنان في تهيئة لذيذ الطعام فاذا تمّ لهُ مراده، وأعدّ للرحلة زاده، وضع الخبز في سفرة من الخوص، الى جانب جدْي سمين طري اللحم لذيذ الطعم يكاد يتفطر إهابه لدسامته . وَلم ينس المسافر نصيبه من الحلاوة، فأعدّ لنفسه ما يكفي الجماعة — من لذيذ الفالوذج، ثم صبر الى الصباح، فلما أشرق النهار بدأ رحلته، وما زال يواصل السفر طول يومه، حتى إذا آذن النهار بالزوال، نزل على ماء نمير، جلبه السيل الغزير، الى عين أو غدير، فطعم من شهي الزاد حاجته، وأكل من لذيذ الحلاوة كفايته . وأتاح المسافر بهذه الرحلة فرصة سعيدة، ومأدُبة فريدة، لأمةٍ من النمل، جائعاتٍ، جئنَ اليه مسرعات، وأقبلنَ على مشاركته في زاده متسللات، وقد بدَتْ جُسومُهُنّ المحزوزات، كأنّ ظهورهنّ من الحزّ مقطوعات .

ولا يفوت شاعرنا أن ينبه الى ما يختصّ بهِ الضعيف من قدرةٍ على الأذى، وإلحاق الضرّ بالقويّ، فيقرر لنا أن هذه النّملَ الضعيفات، لسنَ عن الشرّ بعاجزات، وأنهنّ — على تجرُّدهنّ من السيوف والرِّماح، وأدوات الحرب والكفاح — قادرات على ايذاء الكُماة المدجَّجين بالسلاح .

ثم يمثّل لنا شاعرنا كيف أتاح المسافر لضيوفه النازلات بساحتهِ، ألواناً شهيّةً من فُتات مائدتهِ .

ويصوّر لنا كيف طوّح صاحبنا ما زاد على كفايته من العظام، بين كثبان الرمال والآكام . فهيّأ بذلك رزقاً لطائفة من الحيوان، وجدت فيما يحتويه العظم من مخٍّ طريّ، زاداً جدَّ شهيّ .

فأقبل عليهِ بعض الجياع، من الغربان البُقْع أو الضباع

وهنا يُبدع فيلسوف المعرّة وشاعرها صورة بارعة لتلك الغربان والضباع، ويصف كيف يتبدَّيْنَ في بديع ثيابهنّ، فيخيل لمن يراهنّ، أنهنّ قد تلفّعنَ وتسربلنَ ببديع من الثياب والأبراد، مخططة بالبياض والسواد .

واليك النصّ العلائيّ :

« أمرُ الأرزاقِ أزْوالٌ (عجائب) .
عزم ظاعنٌ على الشُّخوص (المَسير)

فاتخذ سمّـهةً (١) (سفرة) من خوص .
فيها أبيضُ حرٌّ (خبز)
وعـمروسٌ (٢) (جَدْيٌ) ، أرْضعتهُ الخَـروس (٣) (المرضع القليلة اللبن) ورِعديد (٤)
(فالوذج) ، يكتفى بهِ العديد
فصار الانسان لما أبصر
فلما فنيَ يومه وأقصر (٥) (صار في آخر النهار)
نزل على عين سجراءَ (يضرب ماؤها الى الحمرة ، لقرب عهده بالسيل) ،
فأصاب من الطعام
والله آثَـر (خصَّ) الأنفس بطيِّـبِ الأكيلِ (المأكول)
فاجتمع اليه سودٌ جزلٌ (٦) (نمل)
يؤذين ذوي الأسلحة ، وهنَّ عـزُلٌ
فأصَبْـنَ ما قُـسِـم لهنَّ ، والـحـتامة النزل (يعني أن ما سقط من المائدة كان زادهنَّ ،
والنزل هو : الطعام الذي يصلح للنازل ، اذا نزل بك)
ورمى بالانقاءِ (الـكثبان من الرّمل)
أعْـظُماً ذوات أنقاء (٧) (أمخاخ)
فابتدرهنَّ بُـقْـع : (جمع أبقع ، وهو الغراب ، أو : الضَّـبُـع ، لونه البقع) كأنما
عليهنَّ لفعٌ من البرُد أو السّـباج (٨)
ومن لفتاته الطّـريفة في هذا الباب قوله :
يرى الضب الراكب
فيقول لحِسْلهِ (ولده) :
اتق الحارش (صيّادَ الضَّـبِّ)
فيمر الراكب عجلا ،

---

(١) السمهة : السفرة تتخذ من الخوص (٢) العمروس : الجدي أو الخروف ، وأكثر ما يستعمل في الجدي ، ويقال : ان عبد الملك بن مروان قال لعدي بن حاتم : « ما تعدون أفضل الطعام عندكم » ؟ قال : العنوق (الاناث من المعزى ، واحده عناق) قال : أما نحن فلا نعدل بالعماريس » (٣) الخروس : التي تلد بكرها ، فيكون لبنها قليلا ، فتعمل لها الخرسة ، وهي طعام تطعمه النفساء ليدر لبنها (٤) الرعديد ، هنا : الفالوذ ، وفي غير هذا الموضع : الجبان (٥) أقصر : صار في قصر النهار ، وهو : آخره (٦) يقال للنملة : جزلاء ، لاجل الحز الذي في ظهرها ، ويقال : بعير أجزل اذا خرجت من فقار ظهره - فقارة (٧) (مصدر أنقى العظم إذا صار فيه نقى ، وهو : المخ ، واذا فتحت الهمزة ، فهو جمع نقي) (٨) (اللفع : جمع لفاع وهو ما يتلفع به ، والبرد : جمع بردة ، والسباج : جمع سبيجة وهو ثوب فيه سواد وبياض)

ومعه جراب عجوة ، فيلقيه ،
ويعجله السير عن أخذه
فيكون في ذلك الجراب معيشة للحسل

٦ – في طلب الرزق

ومن بدائع الصور التي رسمتها ريشة هذا المبدع قوله أيضاً يمثل ما يعانيه الإنسان في طلب الرزق :

ويغدو الحاطب نشيطاً ، وفي يده المخلب (المنجل) ، وعلى عاتقه المسد
فيكون أكيل أسامةَ (مأكول الأسد) مع الشروق .

وقوله يمثل ما تعانيه القطاة من ضروب الاخطار في سبيل التماس الرّزق :

تنزل القطاة الى شرك الوليد
وهي فرْحى بما لاح لها من الرزق
فيؤول أمرها معهُ إلى أحد ثلاثة أشياء :
سحطٍ مزعف (ذبح سريع) أو سجنٍ حرج أو عذابٍ مُبَرِّح

وقوله : وابك على طائر رماه فتى لاهٍ فأوهى بفهره (١) الكتفا
أو صادفته حبالةٌ نصبت فظل فيها كأنما كتفا
بكر يبغي المعاش مجتهداً فقصَّ عند الشروق أو نتفا
كأنهُ في الحياة ما فرع الغصن (٢) فغنى عليه أو هتفا

وقوله يصف النحلة :

وتقدم الجارسة (النحلة) على مارّ الطريق باللسب ، وحتفها فيه — وقوله :

«وينام الوليد عند وجار الضبة المكون (وهي : التي فيها بيضها)
ومعهُ تمرات حشفات (من أردإ التمر) (٣)
فتخرج لتسرقهنَّ منهُ فيصيدها بالسعي الهيّن

ملاحظة : هذا المقال من « مقدمة رسالة الهناء » وهي تحت الطبع ، وأما الصورة المنشورة فمن ريشة جبران خليل جبران

---

(١) الفهر : الحجر ملء الكف (٢) فرع الغصن : علاه (٣) وقيل : اليابس الفاسد منه

سرابيوم

« معبد الاسكندرية »

للدكتور باهور لبيب

منذ فترة قصيرة اكتشف رجال متحف بلدية الاسكندرية بجوار عمود السواري آثاراً ترجع الى عهد الملك بطليموس الثالث . وقد نوهت بهـا بعض الصحف وذكرت أن بينها لوحات ذهبية تدل على أن بطليموس الثالث هو المنشىء لسرابيوم الاسكندرية

ولـكنه اتضح من بحث المراجع الأثرية والأدلة التاريخيـة أن منشىء سرابيوم الاسكندرية هو بطليموس الأول لا الثالث

. فكان الاسكندر الاكبر وحكام البطالمة يميلون الى مهادنة المصريين ومجاملتهم من الوجهة الدينية. ولذلك حذوا حذو ملوك الفراعنة فكانوا يزورون الآلهة المصرية في معابدها ، واتخذوا لأنفسهم الالقاب المصرية التي ترجع الى تاريخ معبودات مصرية قديمة كاللقب الحوريسي نسبةً الى الالـه حورس (إلـه السماء) ، الذين كانوا يعتقدون أنه يحمي حامل لقبهُ بل يعتبر من سلالته . واللقب صارع نسبة الى الإلـه رع (إلـه الشمس) ظنـًا منهم أن المسمى بهِ يعتبر ابناً للإلـه رع

ولم يكتف بطليموس الأول باستمالة المصريين وإرضاء كهنتهم بالطرق المنوّه بها آنفاً ، بل فكر في طريقة أخرى لايجاد عبادة مشتركة يونانية مصرية تربط الشعبين

فغير اسم المعبود المصري (العجل آبيس) بتسمية مصرية يونانية (أوسرحابي ، أي العجل آبيس المتوفى) بسرابيس . وعبـده المصريون في شكل الآلهـة المصرية أزوريس أو العجل آبيس أو الإلـه اونوبيس . واليونانيون في شكل الإلـه اليوناني هادس (إلـه الآخرة) أو اسكالبيوس (إله الشفاء) أو زيوس

وبذلك أصبح كلٌّ من الشعبين لا يعتبر هذه الديانة رمزاً لديانة جديدة

فكلّف بطليموس الأول المهندس اليوناني Parmenissus پارمنيسوس انشاء معبد للإلـه سرابيس بالاسكندرية فأقامه مكان عمود السواري الحالي، وأطلْق عليه اسم السرابيوم وكان هذا المعبد أهم مركز لعبادة هذا الإلـه في عصر البطالمة

وقد أضاف أيضاً بطليموس الاول هيكلاً جديداً بسرابيوم منف (١) للمعبود العجل آبيس ، وهو أحد أشكال الإله سرابيس على الطريقة المصرية كما تقدم . ويرجع تاريخ سرابيوم منف الى الدولة الحديثة أو الى ما قبل هذه الدولة على حسب بعض الآراء . ولا يمكن القول بأن بطليموس الاول هو الذي أنشأ سرابيوم منف بناءً على التعديل الذي أجراه فيه (٢)

كما أن وجود ألواح ذهبية باسم بطليموس الثالث بسرابيوم الاسكندرية منقوش عليها أنه أهدى الى سرابيس المعبد والحرم المقدس — لا يدل دلالة قاطعة على انشاء هذا السرابيوم ، بل يستنتج من النقوش فقط انهُ اهتم بتوسيع هذا المعبد أو بتجديد بنائه كما حدث في سرابيوم منف في عهد بطليموس الأول ، لا سيما أن السرابيوم يشمل عدة مبانٍ

وقد وجد علماء الآثار ألواحاً ذهبية ببلدة كانوب (بجوار أبي قير) باسم بطليموس الثالث منقوشاً عليها أنهُ أهدى هو وزوجته برنيكا المعبد للإلـه أزوريس. فالمقصود هنا أن الاهداء ينصب على ما أضيف بمعرفتهما بهذا المعبد. وتوجد إحدى هذه الالواح بالمتحف البريطاني بلندن

مما تقدّم نستطيع القول بأن بطليموس الأول لا الثالث أنشأ سرابيوم الاسكندرية (٣)

---

(١) سرابيوم منف عبارة عن هياكل متصلة بمحاريب لدفن ما يموت من عجول آبيس وكانت توضع جثث العجول في توابيت وتدفن بهذه المحاريب . وكانت وفاة العجل آبيس تعتبر حادثاً تهتز له البلاد كلها

وعندما يكون العجل آبيس على قيد الحياة كان يعيش في مكان بجوار هيكل بتاح على مسافة أربعة أميال تقريباً داخل بقعة مزروعة من الوادي تدعى « آبيوم »

وعلاقة الاله بتاح بالعجل آبيس هو أن المصريين في عصر الدولة الحديثة كانوا يعتقدون أن روح الاله بتاح قد تقمصت العجل آبيس

(٢) وفوق أهمية ما شيده بطليموس الاول في سرابيوم منف من الوجهة الدينية تقوم له أهمية فنية إذ انه أول بناء في مصر معروف حتى الآن ظهرت فيه الاعمدة اليونانية المسماة « كورنتي »

(٣) وقد وصلت درجة عبادة الاله سرابيس الى حد جعل جميع المصريين يعبدونه ، وكذلك يونانيو مصر إذ أصبح إله الدولة . وفي المسائل القضائية ذكر اسمه في القسم

كما أن عبادته انتشرت من الاسكندرية الى البلاد الاغريقية ثم فيما بعد الى الدولة الرومانية

الألم وفائدته

الألم إنذار يحذر من غدا جسمه في خطر

نقلها : كامل محمود حبيب

لقد حاولت المبادئ الفلسفية والتعاليم الدينية طويلاً أن تثبت العدل الذي ينطوي عليه وجود الألم في هذا العالم . أما من الناحية البيولوجية فالألم ضروري في نظام الكون، فما كان لنوع من الحيوان أن يعيش على الأرض ما لم تهيئهُ الطبيعة بأجهزة تنبهه ليدفع عن نفسه أي خطر يهدد سلامته

والألم كأي إحساس آخر تحملهُ الأعصاب من نقطة التأثير في الجلد الى منطقة الادراك في المخ ، خلال الحبل الشوكي . وهنا تتم عمليـة إدراك الألم ، لا عند مكان الأثر الأول . وإذن فلا ألم بدون عصب ، ولا ألم بدون المخ . وهكذا يكون للجهاز العصبي الكامل الصحيح من الشأن في إدراك الألم ما يبذّ شأن الموضع الذي أصيب فعلاً . فرجل بترت يده يستطيع أن يجد لذع الألم أُثيرت أطراف الاعصاب المقطوعة والطفل يحس الألم وهو لا يعرف مأتاه، لأنهُ لا يقدر على تحديد مصدره تماماً . وإن بعض أنواع الألم لتخدع المرء في تقدير مصدرها ، فالتهيج في الحجاب الحاجز ـ مثلاً ـ يبدو كأنهُ ألم في الكتف

ويلوح ان الشعور بالألم ينقلهُ نوع خاص من الأعصاب لا يعدوه ، مثلما تنقل أعصاب السمع وأعصاب البصر هذين الإحساسين وحسب . وهناك أعصاب خاصة للمس تدرك الحرارة والبرودة وتستشعر الحركة . ويمكن الاستدلال على وجود هذا النوع إن نحن اختبرنا منطقة من الجلد ضيقة محدودة فأمررنا عليها إبرة حادة دقيقة وشعرة خشنة على التعاقب ، فإنا نجد أن منطقتين من مناطق الألم تتباعدان بمسافة مليمتر تقريباً ، في حين أن المسافة بين منطقتي الاحساس تربي على ذلك كثيراً . أما على سطح قرنية العين ، حيث لا أعصاب للمس، فإن أي لمسة — ولو من شعرة من قطن ، تسبب ألماً

ولقد كشفت الاختبارات المجهرية عن أن طرف الأصبع تنتشر عليه نهايات أجهزة تشبه أزرار الأجراس الكهربائية ، وينطلق من كل نهاية عصب كبير . ويقوم كل هذا الجهاز بالادراك الحسي — اللمس — ، ويفرق بين مختلف الاحساسات وإن كانت واهية . والى جانب هذا أعصاب قليلة متفرقة على شكل أنابيب شعرية لا تنتهي بطارف متميز ، تلك هي التي تغطي قرنية العين ، وإذن فهي — ولا ريب — أعصاب الألم

وينتشر في كثير من أجزاء الجسم والأوعية الدموية ، ومعظم الاعضاء أعصاب قريبة الشبه بما تقدم ، وهي تختلف قليلاً في التركيب وفي نوع الاحساس بالألم الذي تنقلهُ . فما من شك في أن اللذعة الوقتية التي يحدثها وخز سن دبوس تختلف كثيراً عن ألم دائم أحدثهُ قَطْع شريان أو تمزيق عضلات المفصل . وقد يكون الألم في بعض الأجزاء — كتجويف البطن — أثراً للضغط أو الشد لا من قطع أو حرق ، وفي بعض آخر - مثل أجزاء المخ - لا يحس المرء الألم

وشبكة الأعصاب اللانهائية المنتشرة في منطقة ما في الجسم تتجمع رويداً رويداً لتكون حبالاً سميكة تحوي أعصاب الحركة التي تسير الى العضلات ، كما تحوي أعصاباً للحس من جميع الانواع . وقبل أن تبلغ العمود الفقري تنفصل قسمين ، فتدخل أعصاب الحركة الى النخاع الشوكي من الامام وأعصاب الحس من الخلف

وفي داخل العمود الفقري اختصاص بيّن ، فالاعصاب التي تنقل الحس بمواضع الأشياء وحركات العضلات تنطلق لتصبح حزمة كبيرة في الناحية الخلفية من النخاع الشوكي . وأعصاب اللمس تتناثر داخل الحبل الشوكي دون انتظام . وأعصاب الألم تدخل الى النخاع الشوكي من الناحية التي جاءت منها وتصعد فيه نحو المخ ، وهي تنتهي الى منطقة من المخ تعرف باسم مبدأ العصب . وهذا تركيب يتحد فيه الانسان مع أحط أنواع الفقريات ، ولعلَّ له علاقة وثيقة بحاستي الشم والذوق من ناحية ، ومن ناحية أخرى بالتعبير عن الانفعالات النفسية . وإن وخز المخ لا يحدث ألماً ، ولكن التخدير الموضعي في المخ يلغي حاستي اللمس والحركة في مناطق خاصة دون الاحساس بالألم

وإذا بذل كل جهد مستطاع لازالة منبع الألم فلم يجد ذلك شيئاً ، وجب على الاطباء أن يبحثوا عن طريقة تخفف منه . ولربما كانت أبسط طريقة هي استعمال الحرارة أو البرودة في منطقة الألم لتهدئته . وإن الطرق الكهربائية المتباينة لتوليد الحرارة في أنسجة الجسم ،

واستعمال الأشعة تحت الحمراء ... هي اختراعات أوحت بها قارورة الماء الساخن الموقرة

والانفعال المضاد أمر مهم في مناهضة الألم ، ولعل الغريزة الطبيعية التي تدفع الى حك المنطقة المتألمة هي المنشأ الأولي للانفعال المضاد . أما استعمال الاشعة البنفسجية وآلات الدلك فهما طريقتان منقحتان ، غير أن أثرهما محدود ، وعلى أي حال فالانفعال المضاد علاج ضعيف للالم

ويمكن أن تنقسم الأدوية المسكنة الى مجاميع مختلفة ، فالأفيون ومشتقاته ، والمورفين والكودايين والهيرويين وغيرها هي مسكنات للآلام الحادة ، ولكن لها ناحية ذات خطر مروع ، تلك أن تأثيرها يتضاءل رويداً رويداً ، ثم يصبح تعاطيها عادة . وهذه الأدوية ذات فائدة جلى في حالات الألم الحاد ، غير أن تأثيرها يزول إن طالت مدة استعماله

* * *

أما المخدرات العامة مثل الايثير والكلوروفورم ، والمخدرات الموضعية كالكوكايين ، فتمنع الاحساس بالألم في أثناء العمليات الجراحية ، ولكنها لا تستعمل في حالات الألم المزمن . والمجموعة المنومة ، مثل الكحول وايدرات الكلورال ، تمنح النوم ولا تزيل الألم . وبعض الأدوية المركبة بالكيمياء مثل الاسبيرين والاسيتانيليد يؤثر في تسكين ألوان خاصة من الألم ويغلب أن تكون معتدلة ومقترنة بمرض معدٍ ، وفي حالات الصداع . وقد تعجز جميع الوسائل عن ان تؤثر في حالات الألم المزمنة مثل النورالجيا المزمنة ، وإذن يصبح حتماً أن يستأصل مصدر الألم بالجراحة

وقد تكون أبسط طريقة لذلك هي بتر أعصاب الألم المتصلة بالجزء المتألم . هذه طريقة جميلة ناجعة إن كانت أعصاب الحس متميزة عن الأعصاب التي تحرّك العضلات ، ولكن هذين النوعين من الأعصاب ينضمان معاً في كثير من الحالات ، فيعز علينا أن نضحي بهما معاً

وهناك طريقة أمثل تتلخص في قطع أعصاب الحس من لدن الحبل الشوكي والابقاء على أعصاب الحركة ، ولعلّ الخطر الجاثم في تضاعيف هذه الطريقة يتراءى إن قطعت مجموعة كبيرة أعصاب الحس فينشأ عنها فقد حاستي اللمس والتوازن . وقد تستعمل طريقة مشابهة لتلك في الحالات العادية ، وهي حقن أصول الاعصاب بالكحول من لدن الحبل الشوكي .

عمر الخيام كما أعرفه

— ٤ —

لمحمود المنجوري

هل عمر الخيام خرافة

قد يكون من العسير على الباحث أن يزيل من سطور التاريخ الادبي روايات تداولت أجيالاً طويلة ، تلقاها العلماء في غير تردد أو شك ، فالناس — لأمرٍ ما — يقدّسون ما جاء عن السلف ، وقد جبلوا على ألاّ يتعبوا أنفسهم أو يرهقوا تفكيرهم ، على ان الأمانة العلمية تدعو كل باحث ألاّ يعلن رأياً جديداً قبل أن يتخذ العدة ويجمع البراهين التي تؤيد ما يقول ، بل ان هذه الامانة تدعوه أن يكون هو مؤمناً واثقاً بصحة دعواه ، قبل أن يذهب وراء الشكوك والتردد ويسرع فيعلن آراءً مبتسرة في التاريخ والعلم جرياً وراء الشهرة ومخالفة للاجماع الادبي

فيوم زعم الدكتور وللر ان عمر الخيام خرافة ، لم يتقدم بهذا الزعم مؤمناً بهِ لأنهُ مستشرق كبير كان في متناوله أن يطلع على ما قدمنا من وثائق تاريخية تؤيد وجود الخيام في الحياة . ولكنه ذهب مذهب العجلة وسعى وراء الظهور برأي جديد . وليس هذا شأن الخلق العلمي . كذلك زعم الدكتور رُسْ أن وصية نظام الملك وصية موضوعة وان اجتماع عمر الخيام ونظام الملك وحسن الصباح في مدرسة واحدة أمرٌ غير محتمل لاختلاف أعمارهم، وأنهُ وضع غير معقول ولامقبول ، وان الرأي الذي ارتآه السير رُس هو ان وزيراً آخر غير نظام الملك كان مع حسن الصباح في مدرسة واحدة، وان هذا الوزير هو أنوشروان ابن خالد ، وفي هذا يتمم السير رُس دعواه فيقول :

«قد يكون من العسير ان نقنع الرأي العلمي بأن الوزير انو شروان كان في المدرسة مع حسن الصباح، فمن سوء الحظ اننا لانعلم تاريخ ميلاد هذا الوزير، وأول تاريخ في حياته أشار اليه هو بنفسه سنة ١٠٩٥ عند ما اشترك في موقعة وأصبح بعدها رجلاً عظيماً ، ولقد مال حسن الصباح الى مذهب الاسماعيلية في سنة ١٠٧١ م ، ولم تكن خراسان وطنه ، ولقد

ذكر لنا انهُ دخل في الاسماعيلية على يد فئة كانت تدعو اليها في خراسان، وعلى أي حال فقد دخل في الاسماعيلية بعد مغادرته المدرسة، فمن المحتمل ان يكون حسن الصباح قد بلغ العشرين يوم انتهى من الدراسة ودخل في تلك الفرقة، وعلى هذا فلا يمكن ان يكون تاريخ مولده قبل سنة ١٠٥٢ م

وعليه فمن المرجح ان يكون حسن الصباح وأنو شروان بن خالد قد ولدا نحو سنة ١٠٥٠ م، وانهما كانا في مدرسة واحدة في نيسابور وان شخصاً في القرن الذي تلا هذا العصر حسب أن نظام الملك قرناً لعمر الخيام (١) وان وزيراً عظيماً آخر يسمى انوشروان كان في المدرسة مع حسن الصباح، وان الاربعة جميعاً درسوا في نيسابور، وحدث ان اختلط الأمر بين الوزيرين، ومن هنا نشأت قصة الرفاق الثلاثة نظام الملك وعمر الخيام وحسن الصباح

ونستطيع أن نعثر في حياة عمر الخيام كلها على حادثين تاريخيين لا شك فيهما، ففي سنة ١٠٧٤م اجتمع عمر مع سبعة من علماء الفلك لاصلاح التقويم بناءً على دعوة ملك شاه، والتاريخ الثاني هو سنة ١١١٢م عند ما زاره تلميذه النظامي العروضي ولقيهُ في بلخ

فلو فرضنا ان حسن بن الصباح ولد في سنة ١٠٥٠م وما دام عمر في سنه وقد ثبت أن عمر في سنة ١٠٧٤ م كان من هيئة كبار الفلكيين فتكون سن عمر في هذه السنة ٢٤ سنة. فهل من المعقول ان يكون عمر قد بلغ في عصره شهرة عالمية فيصبح الفلكي الاول في الدولة ولما يبلغ من العمر غير اربع وعشرين سنة؟ ولهذا أميل الى وضع تاريخ ميلاد عمر في سنة متأخرة بعض عشرات السنين قبل ميلاد حسن الصباح. ولتكن سنة ١٠٤٠م عاماً لميلاده، فبناءً عليه يكون عمر قد بلغ الثالثة والثمانين في سنة ١١٢٣ م وهو العام الذي اتفق على ان الخيام قد مات فيه. ويكون قد بلغ الخيام الثانية والسبعين عند ما لقيهُ تلميذه النظامي العروضي في بلخ

ولم يذكر تاريخ وفاة عمر على حقائق ثابتة، واني لأشك في رواية اتصاله بالسلطان سنجر، فهذه القصة هي الاخرى لم ترد في غير المراجع المحدثة التي خلط اصحابها بين السلطان سنجر وبين شمس الملك الخاقاني صاحب بخارى (٢). ومن المحقق انه قد حدث ايام ولاية سنجر للعهد ما دعاه الى كراهية الخيام (٣) انما هو محقق لدينا ان الخيام كان في سنة ١١١٢م

---

(١) هذه المسألة ما زالت غامضة فلم يأت الخيام في كتاب الجبر بأي اشارة الى نظام الملك بينما تحدث صريحاً عن «أبي طاهر» فقال «لقد أعانني أبو طاهر على استمرار البحث وكنت أوشكت على قطعه يأساً» وأبو طاهر هو شرف الدين أبو طاهر السكومي الذي ولاه نظام الملك في سنة ١٠٨٨ ولاية مرو والذي استوزره السلطان سنجر فيما بعد

(٢) حكم شمس الملك من سنة ١٠٦٧ م الى سنة ١٠٧٩ م (٣) نزهة الارواح للشهرزوري

حيًّا يرزق لما زاره تلميذه النظامي العروضي وان النظامي عاد سنة ١١٣٥ م فزار قبر الخيام

وعثرنا في طبعة طهران لرباعيات الخيام على نبوءة تنبأ بها في شتاء سنة ٥٠٨ ه أي بين سنتي ١١١٤ و ١١١٥ م ، وعلى هذا يجب ان نضع وفاة الخيام في الفترة بين عامي ١١١٥ م و ١١٣٥ م ومن هذا أرى ان تكون الوفاة في سنة ١١٢٣ م .

وعلى ضوء الحقائق التي تقدمت، أبيح لنفسي ان أضع حياة الخيام وضعاً لا شك فيه فأقول : ولد الخيام بمدينة نيسابور في القرن الحادي عشر للميلاد . والده ابراهيم اتخذ صناعة الخيام حرفة له ، وليس من المرجح ان يكون عمر قد اشتغل بحرفة أبيه كما كانت عادة ذلك العصر ، ولقد حفظ في المكتبِ القرآن وتعلم علوم الفقه والحديث والكلام وأدب اللغة العربية وعلوم الرياضة ، وتخصص في علوم الفلك والفلسفة وعكف على دراسة الطب ، ومن المحتمل ان يكون قد درس الفلسفة في مدرسة نيسابور . وكانت وظيفته رصد الأفلاك ، وكان واحداً من الثمانية الذين عينهم ملك شاه لاصلاح التقويم وانشاء التقويم الجلالي »(١)

هذا بحث رُس ولا يخلو من طرافة ، فهو يكشف عن ناحية من طرائق الاستقراء العلمي الذي يقوم به كبار المستشرقين في آدابنا ، على انني لا أستطيع أن أقبل ما جاء فيه جميعه كما لا استطيع ان أرفضه اطلاقاً ، فنحن الآن أمام تقريرين أحدهما منسوب الى نظام الملك لا يريد السير رُس وغيره من العلماء ان يأخذ به ، والآخر منسوب الى انوشروان وقد أخذ به السير رُس . وقد ذكرت في التقرير الأول الوقائع صريحة وأسماء الخيام وحسن الصباح ونظام الملك مكشوفة سافرة ، وأما ما ذكره انوشروان فانما هو تلميح لا يجوز أن يأخذ بهِ عالم يقضي بحكمه في قضية تاريخية متصلة بالأدب والعلم . ويرفض السير رس وصية نظام الملك لأن المصادر القديمة لم تذكرها ولأنها ظهرت في عصر متأخر ، فهل ذكرت المصادر القديمة مذكرات الوزير أنو شروان ؟ على ان عدم ظهور وثيقة نظام الملك في عصر قريب من الخيام لا يقلل من شأنها او يبطلها ، فالبحث العلمي قائم غير منقطع ، وباب الاجتهاد مفتوح وقد تظهر الآن وثائق اخرى تتصل بعصر الخيام وغير الخيام ، وكانت مطمورة او مجهولة قروناً طويلة فتغير من الاوضاع العلمية والادبية وتوجد حقائق جديدة لم يكن لها وجود من قبل ، ومع هذا فلا يجوز ان يحتج مبطل بأنها وثائق لم يذكرها المؤرخون القدامى أو انها ما دامت متأخرة عن عصر صاحبها بقرون طويلة فلا يؤخذ بما فيها

---

(١) مقدمة رس للرباعيات ص ٦٩ ط لندن ١٩٠٠

وكذلك يرفض السير رُس وثيقة نظام الملك لعدم احتمال تعمير الخيام وحسن الصباح هذا الأجل الطويل معاً ، ولست أدري ما الذي يمنع من تعمير صديقين أجلاً طويلاً متقارباً . واذا جاز ان نصدق أنو شروان عندما يقول : لقد كنت بالمدرسة مع حسن الصباح فلماذا لانصدق وزيراً آخر عندما يقول هذا القول ، مع ان نظام الملك قاله صريحاً دون تلميح او اشارة أو غموض ، كما فعل انو شروان . وأخذ هوتزما والسير رُس يخرجان من قول أنو شروان ماطاب لهما من تخريج

اما تناقض السنوات التي ولد فيها عمر او حسن الصباح او نظام الملك ، فبحث لا يتصل بسلامة وصية نظام الملك ، فتحديد الاعمار في هذه العصور من الامور التي لا يمكن ان تكون على وجه الضبط والتدقيق ، ويقول رُس انهُ اذا أخذ بوصية نظام الملك فمعنى هذا ان عمر الخيام يكون قد بلغ الرابعة والعشرين عندما استدعاه نظام الملك وملك شاه لاصلاح التقويم ، وأنكر ان يبلغ فلكي ذروة المجد في هذه السن . ولست أدري لماذا ننكر النبوغ وعبقرية الجد على الشباب وما زال الشباب يقود العلم والأدب والهندسة والطب والاختراع في جميع مرافق الفكر والفنون . وهل هو بمستحيل ان ينبغ شاب في سن الخيام فيكشف قوانين جديدة في علوم الفلك والحركة والكهربى والصوت واللاسلكي وعالم الميكروبات ، فتقلب الحقائق على أوضاعها وتنشأ حقائق جديدة لم تكن في الحسبان؟ ان للشباب جهوداً مذكورة في العبقرية والنبوغ ولهذا لا يجوز ان نأخذ بما أخذ به السير رُس في هذا الباب

على اننا نستطيع ان نشير الى المصادر القديمة التي ذكرت اجتماع عمر الخيام ونظام الملك وحسن الصباح في مدرسة واحدة وهذه المصادر هي :

(١) كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ

(٢) كتاب روضة الصفا للشيخ ميرخند من علماء القرن الثامن للهجرة

(٣) فردوس الشعراء سنة ١٣٢٨ هـ

(٤) دبستان مذاهب : كتب في القرن السابع عشر للميلاد في العقائد والمذاهب والاديان

وهذه كلها تأخذ بوصية نظام الملك وتقر ما فيها

على انهُ قد اخذ العمريون بوصية نظام الملك ولم ينكرها غير طائفة قليلة ممن ذكرنا من المستشرقين كما اخذ بها غير واحد من ثقات البحوث الشرقية أمثال المستشرق برون ،

وليس من اصحاب المصادر الحديثة من أنكرها او بعبارة اخرى لم يقم للآن دليل علمي على بطلانها

*

صوت الخيام فى الآداب الحديثة

ظلّ الخيام مغموراً في عصره وبلده لانهُ فيلسوف انقلابي مفكر، حمل مشعل التفكير الحر، ونَقَدَ تقاليد زمنه وآراء معاصريه، وتهكم بزعماء الرأي وقادة الدين. ظلّ مغموراً لأنهُ سبق زمنه بأجيال، فنظروا اليهِ نظرة المتمرد الثائر. وخبا صوته فلم يصل الى التفكير العربي القديم، لأن دعوة الخيام قامت على شيء من الخصومة بين العقل الفارسي والعقل العربي الذي سيطر وسما بسيطرة القرآن والدعوة الاسلامية الخالصة على الدولة الفارسية، ولأن التفكير العربي القديم لم يلتفت الى الخيام التفاته الى شاعر فذ أو فيلسوف جاء بالخارق من الرأي، ولكن التفكير العربي ظل ملتفتاً الى الخيام التفاته الى عالم فلكي او رياضي ليس غير. فلم تعرف الرباعيات في الأدب العربي ولم يبلغ صوت الخيام كشاعر فارسي له رأيهُ وفنه وأدبه الاّ في العهود الأخيرة، ولقد بلغنا هذا الصوت الشرقي الكريم من طريق الغرب وأدب الغرب ولم يصلنا من الأفق القريب!

لعل الثقافة العربية لم تشغل بأدب الخيام لأسباب، منها أن في الادب العربي الكثير من الشعر ما نحا نحو الرباعيات في الخمر، بل فيه من الشعراء من سبق الخيام الى المعاني التي احوتها الكأس والخمر كما تقرأ في شعر ابي محجن الثقفي، وابي الهندي، وابي نواس وغيرهم، وفيه من شعراء الفلسفة ما أغنى العقل العربي عن هذا الاهتمام به، فله في أبي العلاء وغير أبي العلاء عوض يظفر بهِ ويغنيه عن شعر الخيام من فلسفة وتشاؤم وتمرد، فالديوان العربي ديوان حافل محشود بما أغنى التفكير العربي عن الخيام قروناً طويلة

وفي الحق لم يكن من توافق بين مزاج الخيام الثائر وبين العقل العربي الذي هداه القرآن وصرفه عن التمرد والانقلاب، ولهذا لم تظهر عناية الأدب العربي بهذا اللون الفارسي من الشعر، ولم يحفل به الاّ في فترة التجديد وانتعاش المبادىء الانقلابية التي سرت من الغرب الى الشرق، فعاد الشرق الى شاعره فوجدها في صوته القديم تتردد من أجيال سحيقة قبل أن يسمعها من روسو وديدرو وڤلتير وغيرهم من ادباء التجديد والثورة والانقلاب

ولعل توافق المزاج الاوربي مع نهج الرباعيات ومع الاهداف الادبية والانقلابية التي احتوتها هو الذي جعل التفكير الغربي يُعنى بها ويهتم بالخيام هذا الاهتمام الملحوظ في همة المستشرقين والمطابع وجمهرة القراء والمتأدبين برباعيات الخيام وادبه ودعوته ، فلما ظفر العقل الأوروبي الحديث برباعيات الخيام اعترف بأنها لُقية غالية نادرة ، فهي من ناحية تتفق مع لون من ألوان الشعر المعروف بـ Sonnet وهي بعد هذا تجاري الاتجاهات الجديدة للتفكير في العقائد والمذاهب العقلية والاجتماعية ، فهذا الفوز الذي بلغته الرباعيات في أوروبة انما يرجع الى أن الخيام فهم الحياة كما يفهمها الاوروبي المعاصر ، فهو ينظر الى الحياة بمنظار المدنية الحديثة طبقاً لعقائد رجّحها واتخذها ذوقاً وقياساً لأدبهِ وفلسفته وحياتهِ ، ولقد طبق الخيام هذه الأقيسة وأخضع هذه القيم التي ارتآها على تفكيره ونهجه ووحيه الذي ألهمه الرباعيات ، بل انهُ سلك بها حياته الخاصة مع الخاصة والعلماء وقادة الرأي ، فكان بالقياس الى أهل زمانهِ مفكراً ثائراً وملحداً وفيلسوفاً مجدداً في قيم الحياة العامة التي ألفتها الناس في عهده من جمود وركون ورياء وزهد وانصراف عن الحياة ومباهجها ، ولقد لفت هذا التجديد وهذه الثورة الغربَ الى الخيام كفيلسوف شرقي حمل مشعل التفكير الحر ومعول الهدم قبل أن يحمله مفكري الثورة الفرنسية ولقد اعترف رينان ومسيو باربيه دومينار المستشرق الفرنسي بهذا فقال « أليس حَدَثاً غريباً أن يظهر شاعر في بلاد فارس في القرن الحادي عشر للميلاد يكون قرناً كما قال رينان لجوتيه وهايني ؟ »

فالخيام فيلسوف مفكر سبق زمانه بقرون وأجيال ، وليست قيمة الرباعيات في جمال شعرها وجزالة موسيقاها ، ولكن قيمتها فيما قامت بهِ كل رباعية كوحدة لها معناها ونظرها ودعوتها الحرة في الحياة والاجتماع والمذاهب الفكرية العامة . وهي من الناحية الأدبية عمل انساني غير مطبوع بطابع اللون أو الجنس أو الاثرة القومية أو المذهبية . ولقد بلغ الاعجاب بالرباعيات أن أنكر كثير من الأدباء والمستشرقين المذاهب التي جاءت بها على مفكر شرقي عاش في القرن الحادي عشر للميلاد ، وذهبت بهم الأنانة الى نسبتها الى فيتزجرالد نفسه ، فقالوا انها ليست بشعر فارسي وانما هي شعر انجليزي خالص وحسّياً وإلهاماً ومذاقاً وفنّاً ، ومن هؤلاء الجاحدين مستر لجاليان Le Gallienne ومستر أرثر پلات Arthur Platt وقد تأثر برأيهما بعض المستشرقين والباحثين وبعض الغربيين الرجعيين الذين ينكرون على الشرق فلسفته وعبقريته ومدنيته ، وفنونه وخلوده وجماله والذين يقولون الشرق شرق والغرب غرب

مناظرك نظيرك

باب المراسلة والمناظرة

١ — استدراك على مقال

قرأت في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٤ مقالاً للدكتور أسعد طلس بشأن « دار الحديث النورية » (ص ١٣٢ — ١٣٧) ، فرأيت فيهِ (ص ١٣٤) ما نصهُ : « وفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة حين دخل التتار دمشق احترق قسم كبير من المدينة ، وكانت هذه الدار وغيرها من معاهد العلم طعمة للنار . قال الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام : « وفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة دخل التتار دمشق وشرعوا في المصادرة والفسق ونهبوا الصالحية وسبَوا أهلها ووقع الحريق . . . » الى آخره

وهذا الكلام منهُ مُحال ، ومنهُ خطأ . أما المحال فأن يكون الحافظ الذهبيّ قال شيئاً من هذا . فان الخبر عن حادث ينسب الى سنة ٧٩٩ ، والحافظ الذهبيّ مات سنة ٧٤٨ أي قبل التاريخ الذي أرَّخَ بهِ الحادث بأكثر من خمسين سنة . وأما الخطأ ففي تاريخ دخول التتار الى دمشق سنة ٧٩٩ . فانهم لم يدخلوها إلاّ سنة ٨٠٣ . وبذلك أرخها كل المؤرخين الذين رأينا مصادرهم بين أيدينا ، لم يخالف أحد منهم في ذلك . فانظر مثلاً « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » للحافظ السخاوي (ج ٣ ص ٤٧ — ٤٨) في ترجمة « تيمورلنك » فانه ذكر أنهُ قصد سيواس في آخر سنة ٨٠٢ ، ثم نزل يوم الخميس ٩ شهر ربيع الأول سنة ثلاث يعني ٨٠٣ على حلب . ثم ذكر أن التتار اقاموا بحلب يعاقبون ويأخذون الأموال الى يوم السبت مستهل شهر ربيع الآخر أو ثانيه ، ثم رحلوا الى جهة دمشق وأخذوها . ثم قال : « واستمرّ بدمشق — يعني تيمورلنك — الى العشر الثاني من شعبان » الى آخره . وكل ذلك في سنة ٨٠٣ . وانظر أيضاً « شذرات الذهب » لابن العماد (ج ٧ ص ٢٢ ، ٦٤ — ٢٦٥) فانهُ يؤرخ دخول التتار الى دمشق سنة ٨٠٣ . وانظر أيضاً « تاريخ ابن إياس » (ج ١ ص ٣٣٤ طبعة بولاق) فانهُ يؤرخ يوم حرق دمشق في حوادث سنة ٨٠٣ : « فلما كان يوم الخميس مستهل شعبان أمر تيمورلنك باحراق مدينة دمشق » الى آخره . ثم يقول (ص ٣٣٥) : « فلما كان يوم الجمعة ثاني شهر شعبان فيه — يعني في عام ٨٠٣ — رحل تيمورلنك عن دمشق بعد ما فعل

الذي فعلهُ ، فأخذ عسكره وخرج من دمشق ، وكانت مدة إقامته بدمشق الى أن رحل عنها نحو ثمانين يوماً » . وكذلك تجد تفصيل بعض هذه الحوادث في ذلك التاريخ في « خطط الشام » لمحمد كرد علي (ج ٢ ص ١٧٩)

ولست أدري من أين أتى الخطأ لكاتب المقال ولمصدره الذي نقل عنهُ ، وهو كتاب مخطوط للشيخ عبد القادر بدران . فلعلهُ يتفضل بالتحقيق أو التصحيح.

أحمد محمد شاكر

◆

٢ — الجامعة السورية والمصطلحات العلمية

وردت في مقتطف يناير من هذا العام بضع كلمات طبية أحببت أن أذكر لكم ما يستعمل مقابلاً لها في معهد الطب من الجامعة السورية بدمشق

«عُصَيَّة» وتستعمل مقابلة كلمة باشلّس وفرنسيتها Bacille « مكورات عنقودية » مقابلة Staphylococcus « مكورات عقدية » مقابلة Streptococcus . « مكورات رئوية » مقابلة Pneumococcus . « مكورات بنيَّة » مقابلة Gonococcus (وذلك لمشابهة هذا الجرثوم في المحضرات المجهرية لحبتي البن المتقابلتين) . « العصية الخُنَّاقية » أو « عصية الخناق الغشائي » مقابلة باشلس الدفتريا . « العصية الكولونية » مقابلة Bacillus coli . وكثيراً ما ترد هذه الاسماء بالصيغة الآتية اختصاراً فيقال : عنقوديات وعقديات وكولونيات . وذكرتْ عظمة الأذن الخلفية والمراد بها Mastoide «وهي الخشَّاء »

وهذه الكلمات ومئات غيرها في مختلف العلوم الطبية تكوّن اصطلاحات لغة طبية مفهومة بين خريجي المعهد الطبي العربي الكثيري العدد والمنتشرين في البلاد العربية كافة . وهي كلمات وضعها أو عرّبها أو اقتبسها من جهود علماء اللغة أساتذة أعلام في هذا المعهد ، أذكر منهم مرشد خاطر أستاذ أمراض الجراحة وسريرياتها ، وحمدي الخياط أستاذ في الجراثيم والصحة ، والاستاذ جميل الخاني الاستاذ السابق لعلم الطبيعة والأمراض الجلدية والزهرية ، وغيرهم ممن جعل من اللغة العربية لغة كاملة قادرة أن يُستغنى بها عن غيرها في تدريس هذا الفن الجليل : الطب ، والعلوم التي تتفرع منه أو تتعلق به .

دمشق عبد السلام العجيلي

◆

٣ — الشاعر هومِرُس وعلم الآثار

الشهرَ الماضي تحدث الاستاذ أ . ج . ب . ويس A. J. B. Wace أستاذ الدراسات القديمة في جامعة فاروق الاول ، في الجمعية الجغرافية ، عن شعر هومرس وصلة الآثار بهِ . فبدا لي أن أجمل الحديث مع بعض التعقيب على سبيل الاشارة حتى عودة أخرى :

بدأ المحدّث بقوله إن اليونان المتقدمين لم يشكّوا قط في صحة نسبة الالياذة والاوديسية كلتيهما الى صاحبهما سواء في ذلك المؤرخون أو الفلاسفة أو الشعراء

ثم جاءت مدرسة الاسكندرية بمناهجها العلمية وتناولت شعر هومرس بالنقد التحليلي ، وبلغت شأواً بعيداً في نقد النصوص من الناحية اللغوية ، وخلّصت النص مما أُقحم فيه من الكلمات والمعاني المستحدثة ، وقد زعم هذه المدرسة العالمان اللغويان أرِستارخُس Aristarchus وزنودوتس Zenodotus في القرن الثاني قبل المسيح . وظهرت في الاسكندرية أيضاً مدرسة ذهبت الى أن كاتب الالياذة لا يمكن أن يكون هو نفسه مؤلف الاوديسية ، وراحت تفصل بين الملحمتين المطوّلتين ، ومدرسة « الفاصلين » هذه زعمها كزينو Xeno وهيلانِكس Hellanicus ، ولكن أساطين نقاد الاسكندرية يوم ذاك لم يأبهوا كثيراً لهذه المدرسة

وفي العصر الروماني ذهب المؤرخ اليهودي يوسف Josephus إلى أن الكتابة لم تكن قد عرفت في أيام هومرس ، وأن القصيدتين إنْ هما إلاّ مجموعة من الاناشيد . أما الخطيب الروماني كيكرو Cicero فقال إن المطوّلتين كتبتا في عهد الطاغية پِيزِستراتس Pisistratus في أثينة في القرن السادس قبل الميلاد

أما في العهد الحديث فقد أخرج الناقد الألماني الكبير وُلْف Wolf كتابه « المقدمة » Prolegomena باللاتينية في سنة ١٧٩٥ موسوماً بطابع الشك الذي ساد أوربة قبل الثورة الفرنسية . وكانت الثورة نفسها من مظاهره ، أخذ فيها بنظرية يوسف وكيكرو جميعاً . وعزا ما في المطوّلتين من وحدة الى مجهودات مدرسة الاسكندرية . وقال إن الأناشيد كانت من نظم شعراء متعددين . وآمنت مدرسة النقد الهومري الألمانية بمذهب إمامها ، واتجه رجالها إلى « تشريح » المطوّلتين وإبراز الأناشيد الأصلية من ثناياها

وهنا طلع علم الآثار بفتوحاته على يد شليمن Schliemann فكشف عن طروادة

مسرح الحرب ومايسيني عاصمة أجاممنون زعيم الحملة اليونانية ، فكشفت ألواحٌ عليها كتابات بدّدت نظريات النقّاد ، وثبت بها قطعاً أن الشعر الهومري كان من الممكن تسجيله في حينه ، لأن الكتابة كانت معروفة في القرن الحادي عشر ق.م . أو قبله ، حالة أن شعر هومرس لم يدّع أحدٌ كتابته قبل القرن التاسع .

ثم أورد المحدّث شواهد كثيرة على صدق الشاعر وأمانته في الوصف مما كشفت عنهُ الحفائر ، منها قرون العتائر المذهَّبة ، وهيا كل الكلاب المدفونة مع أصحابها ، والخوذات البرنزية ، ومختلف أنواع الاسلحة ، وصور مركبات تجرها الخيل وغيرها

وهنا أثبت المحدّث أن اليونان كانوا ينحتون التماثيل في عصر هومرس ، وقال إنهُ وجَد أثناء قيامهِ بالحفائر في مايسيني تمثالاً يصور ثلاثة شخوص

وبعد ، فلا شك أن هذه الشواهد كلها تدل على أن الشاعر عاش في أعقاب حضارة وُفّقَ في وصفها وصفاً أميناً ، ثم تدحض مزاعم النقاد الذين أنكروا وجود حضارة رائعة في هذا التاريخ المتباعد . ولكنها ــ عندنا ــ لا تثبت أن الالياذة وضعت على هذا النحو الذي نعرفها بهِ الآن ؛ ولا تهوّن مما يُعزى إلى مدرسة الاسكندرية من تغيير وتنقيح وترتيب في النص ، كما أنها لا ترد في شيء على نظرية « الفاصلين » . وكنا نرجو أن يدعم المحدّث الصلة بين المطوّلتين ، كما صنع الاستاذ ستانلي كسن Stanley Casson في مقاله « كيف ألّفِ هومرس الاوديسية ؟ » في مجلة « الآثار » Antiquity مارس ١٩٤٢

وعندنا أن القول الفصل في المسألة الهومرية لا يزال بين أيدي أصحاب النقد الداخلي الذين عليهم أن يفسحوا الطريق للشاعر حتى ينافح عن نفسهِ بواسطة آثاره نفسها ، فيظهروا منهجه الشعري وطريقة نظمه وانسياق خواطره ، ثم يتوفروا على تبيين خصائصه الشعرية إلى جنب مفهوم الملحمة في نظره ، ويثبتوا بعد ذلك وحدة موضوع كل مطوّلة واستمرار أبطالها على خُلق لا يتغير في الملابسات المختلفة ، ثم اطراد فلسفةٍ واحدة في ما يتعلق بآلهة السماء في كلتا الملحمتين . ومن الأمثلة في هذا ما قاله الاستاذ س . إلْيُت بَسِت S. E. Bassett في كتابهِ « شعر هومرُس » (سنة ١٩٣٨) .

وهيب كامل

التّعريف والتّنقيب

نستحدث هذا الباب ونتبسط فيه إرادة أن نتدبر ما يتصل بقضايا الفكر وما يدخل في شؤون الذوق ، فنجريه إلى غايتين : إحداهما مراجعة بعض ما يخرج في العلم والأدب والفن كتابةً أو أداء ، والأخرى نشر ما انطوى من الضنائن المخطوطة أو المهملة . ومقصدنا أن يصبح هذا الباب مرجعاً للمستطلع السائل ومعرضاً للمستبصر الراكن . هذا ويشترك في إنشاء الباب نفر من أهل النظر وأعداء الهوى

بشر فارس

المشتمل

صورتان للفن العربي المستحدث

١ — المسائل

اللفظ والمعنى بقلم ابرهيم عبد القادر المازني

٢ — الكتب

أغنية الرياح الأربع نقد بقلم كامل محمد عجلان
الجيش والبحرية في مصر . . . ـ ـ زكي محمد حسن
نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ـ ـ محمد يوسف موسى
كتب ظهرت

٣ — الاستدراك

كتاب الحيوان ، الجزء الخامس بقلم الأب أنستاس ماري الكرملي

٤ — التعقيب

في اللغة الشاردة بقلم بشر فارس
رسالة ـ مصطفى جواد

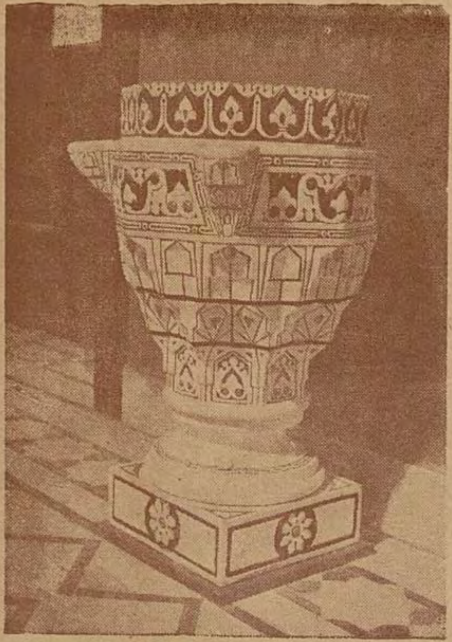

- ١ -

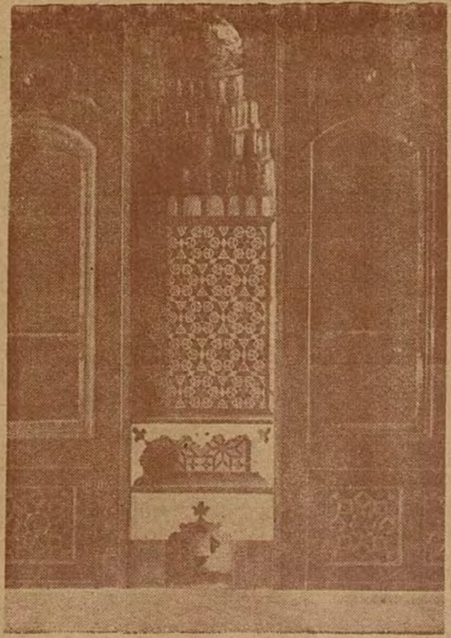

- ٢ -

في بناء ماء الفيجة بدمشق آيات من الفن العربي المستحدث صنعها أو سواها من عناصر قديمة فنان ماهر هو محمد علي الخياط الشهير بأبي سليمان . وهنا مثلان : ١ — جرن قديم عباسي من الرخام التركي ، حفر ودهن بألوان مختلفة ٢ — محراب حجرة مخشبـة معظم خشبها من فجر القرن الـ١٩ .

١ - المسائل

اللفظ والمعنى

اللغة أداة ليس إلاّ ، ووسيلة للعبارة عما في النفس لا أكثر ولا أقل ، فان للأخرس أداة غيرها هي جملة من الاشارات والإيماءات والحركات مع أصوات ساذجة يخرجها للتنبيه أو التوكيد ، والتقرير أو التوضيح . ولكن أداة الأخرس قاصرة جدًّا لا تعدو حد الدلالة على المراد ، ولا يبلغ من وفائها بالحاجة أن تجلو رأياً حضر ، أو حكمة نبغت أو عاطفة جاش بها الصدر . نعم تدل على ذلك وتشير اليه ، ولكن كما يشير الفهرس إلى جملة مشتمل الكتاب . وقد كانت هذه الإيماءات وما يجري مجراها - وما زالت - بعض ما يتوسل به الإنسان من قديم الزمان الى التعبير ، فلم يبلغ بها إلاّ أيسر الحاجات وأدناها منالا . وعلى قدر الحاجات تكون الخواطر والخوالج ، وعلى قدر كثرتها ومبلغ إلحاحها يكون طلب الابانة والرغبة في الافصاح . وقد ألفى الانسان نفسه تكثر حاجاته وتقوى غريزة عقله ويترامى أفقه ولكن أداة الايماء لا تسعفه لأنها تعجز الرقي ، والتعبير الوافي بها يفوت الذرع ، والاكتفاء بها خليق أن يورث نفسه التثاقل وطبيعته التقاعس ، والخاطر يبطىء بها ، والعجز يظهر . ووجد أن الاصوات ألين وأسرع مؤاتاةً ، فمضى على الأيسر والأصلح . وما زالت سنة الطبيعة أن كل موجود يؤثر الذي هو أسهل ، ولن تجد ماءً يجري الى فوق ، وله متسرب الى تحت . وهكذا كانت اللغة .

★

وقد شبهوها بالوعاء ، والظرف ، والجسد ، والثوب — يعنون أنها تضمّن بالمعاني وتحويها ، وان المعاني تحل فيها ، وتكتسيها ، فتظهر بها :

ويقول الجاحظ في رسالته في « الجد والهزل » : « ان الله تعالى علّم آدم جميع الاسماء بجميع المعاني ، ولا يجوز أن يعلمه الاسم ويدع المعنى ، ويعلمه الدلالة ولا يضع له المدلول عليه . والاسم بلا معنى لغو ، كالظرف الخالي ، والاسم في معنى الابدان ، والمعاني في معنى الأرواح . اللفظ للمعنى بدن ، والمعنى للفظ روح ، ولو أعطاه الأسماء بلا معانٍ لكان كمن

وهبه شيئاً جامداً لا حركة لهُ ، وشيئاً لا حس فيه ، وشيئاً لا منفعة عنده . ولا يكون اللفظ اسماً إلاَّ وهو مضمَّن بمعنى » .

وهذا صحيح . ثم يقول « وقد يكون المعنى ولا اسم لهُ ، ولا يكون اسم إلاَّ ولهُ معنى » .

والشقّ الأول من هذه العبارة خلط . فاما ان اللفظ وحده ، وبمجرده ، ومن غير أن يكون في كلام مؤلف منظوم ، « شيء جامد لا حركة له ، ولا حسَّ فيه » فصحيح إذ كان المعنى لا يستفاد إلاَّ من تأليف الكلام . وأما ان المعنى يكون ، ولا عبارة عنه ، ولا لفظ يؤدّيه ، فهذا هو الذي لا يكون . وقد يستطيع الانسان بعد بضعة آلاف من السنين أن يستغنى عن اللغة جملة ، وأن يبلغ من اقتداره على التعبير أن يرسل خوالجه — من معان واحساسات — موجات في الهواء يتلقاها ويتلقفها غيره كما تتلقى أجهزة الراديو الموجات التي تطلقها في الجو محطات الاذاعة . وأنا أعتقد أن هذا سيكون بعد أن يبلغ الانسان من العلم المبلغ الذي يجعل ذلك ميسوراً . وإن أحدنا ليفهم عن صاحبه مراده بنظرة ولا يحتاج في هذا الى كلام أو اشارة ، فلست أرى ما يمنع التوسع في هذا الى آخر المدى . ولكن هذه منزلة لا تزال بعيدة . وليس بنا عن اللغة الى الآن ، والى زمان آخر طويل ، غنى . وما دمنا عاجزين عن التعبير بغير هذه الأداة فلا سبيل الى معنى إلاّ بلفظ ، ومن كان يتوهم أن من الميسور أو الممكن أن يحصل المعنى بغير لفظ فليجرب ، وليحاول أن يتصور معنى يدور في رأسه ، أو إحساساً يضطرب به صدره ، من غير أن يكون له لفظ يتبدى فيه ، أو فليحدث نفسه بأمر ما ، فانهُ خليق أن يجد أنهُ لا يستطيع أن يفعل ذلك الاّ اذا اهتدى الى اللفظ الذي يفرغه فيه ويصبه منه في مثل القالب ، وانه بغير ذلك لا يشعر بأكثر من جيشان او اضطراب فكأنهُ ينظر الى سحاب غليظ متراكب لا تنفذ العين فيه ، أو شيء ملفّف . ولا سبيل الى الرؤية الواضحة الاّ بعد أن يتفتق السحاب أو يتقشع ، ولا يتبين المرء ما يدور في نفسه الاّ اذا صار لما يخالجهُ لفظ يكتسيه ويبدو فيه ، وهذا هو السبب في غموض الكلام ووضوحه ، فالغموض هو قصور اللفظ ، والوضوح هو حلول المعنى في لفظه ، أو قل أن الغموض مرجعه الى أن المرء لم يمهل معانيهِ أو خوالجهِ أو احساساتهِ حتى تصفو مما يخالطها ويعتورها ، أو تطرحه عنها ، وتخرج منهُ ، ويتسنى لها أن تتخذ ما يبرزها ويميزها . أما لماذا يدع المرء الإمهال ، فمسألة أخرى ، فقد يكون عجولاً بطبعهِ ، أو يكون بهِ كسل عقلي ، أو تكون المعاني أو الخوالج أدق أو أعوص عليهِ من أن تحيط بها عبارة ، أو يكون قد ركبهُ الوهم فظن أنهُ فهم وأدرك ، وما أدرك شيئاً

على وجهه، وما وسعه لهذا أن يعرب، إذ لا إعراب إلاّ بعد إدراك، أو يكون فاهماً ولكنه مغتر او ذو بطر، او كحديث العهد بالنعمة، فيسرف في البيان او يقصر.

ونعود بعد هذا الاستطراد فنقول ان المعنى لا يمكن ان يحصل او يتيسر تصوره الاّ بلفظه، ومن هنا كان الخطأ في تشبيه اللفظ بالوعاء او الظرف او الثوب او غير ذلك مما يجري هذا المجرى، ذلك ان اللفظ ليس شيئاً مستقلاً عن المعنى، وقائماً بذاته، وانما هو والمعنى كل لا يتجزأ، وليس للمعنى وجود بغير لفظ ولا للفظ بمجرده حقيقة تدرك، وكل ما يقال في الايجاز والاطناب هراء ما لم يفهما على وجهيهما الصحيحين. فليس الايجاز الاّ صبّ المعنى في لفظه المعبر عنه والاكتفاء بهِ دون الاستطراد الى غيره، اما الاطناب فليس الاّ استطراداً الى معاني «أخرى» غير الذي اليهِ القصد وعليه القول، فان المعنى لا يؤدي الاّ بلفظهِ، فاذا تغير اللفظ تغير المعنى لا محالة. ومن هنا كان الترادف في اللغة الواحدة خرافة، الاّ اذا كان المراد أن قوماً اتخذوا لفظاً لمعنى، وقوماً آخرين اتخذوا غيره، ومؤدى هذا أن هناك لغتين لا لغة مفردة، وان كانتا من أصل واحد.

*

وقد قيل ما قيل في الشبه بين الانسان والحيوان، وفي النشوء والتحول وما الى ذلك أو ما ليس اليه، وذهب بعضهم الى ان الخط الفاصل بين الانسان والحيوان يبدو أنهُ رهن بطية واحدة في حشو الدماغ، ولكن بينهما فاصلاً واحداً لم يستطع ان يزيله أو يستهين بهِ حتى أولئك الذين يردون الفكر الى الاحساس، ويقولون ان الحيوان يشارك الانسان في الملكات التي هي الأسباب المنتجة للتفكير. وهذا الفاصل هو اللغة فما استطاع حيوان — الى الآن — أن يتخذ لغة مثل لغة الانسان.

وفي هذا يقول «لوك» Locke ومن الممكن ان يُعدّ من الفلاسفة الماديين: «وأنا على يقين جازم من ان القدرة على التفكير لم يُعطها الحيوان، وان استنباط الآراء العامة وتصفحها يميز الانسان تمييزاً تامًّا من الحيوان. ومن الجلي أننا لا نسير على آثار غيرنا في استخدام رموز عامة لآراء عامة. ولنا ان نقول ان الحيوان تعوزه ملكة التفكير والارتياء لأنهُ لا يستعمل «الفاظاً» أو رموزاً أخرى عامة».

ومؤدى هذا ان اللغة أكثر من وعاء، أو ظرف، أو ثوب، او جسد، وان هذه ليست الاّ الفاظاً يراد بها تقريب وظيفة اللغة من الافهام، وان اللغة آلة يعمل بها العقل

ولا يستطيع بغيرها ان يعمل ، وينظر ، ويتدبر ، ويستنبط ، ويستبين ، ويستشف الى آخر ذلك. فليست وظيفتها بمقصورة على العبارة عما يدور برأس الانسان او يضطرب بهِ صدره ، أي انها ليست أداة للبيان فحسب ، وانما هي أيضاً أداة للتفكير نفسه وآلة كما أسلفنا ، لحركة العقل .

ولست تجد لغة حيث لا تجد انساناً ، ولا نعرف انساناً ليست له لغة ما ، فهي من عمله ، بمعنى أنها نشأت معهُ ، ونمت واتسعت ، تبعاً لاتساع حياته . ومع قدم اللغة — كل لغة — لم يستطع الانسان على كرّ الدهور ان يضيف جديداً الى أصولها أو يغير مناهج تأليفها وتركيبها ، أو يبدل أوضاعها ومقاييسها ، أو يعدل بها عن طرائقها في المجاز والاستعارة الى آخر ذلك ، وكل ما استحدثتهُ الأجيال المتعاقبة لا يعدو الشكل الى الجوهر ، ولا يمتد من الفرع الى الأصل ، حتى ليمكن أن نقول إننا ما زلنا نستعمل الألفاظ نفسها التي دار بها لسان الانسان حين سمى الأشياء أسماءها . ولا شك ان اللغة تتطور ولكن أصولها ومناهجها وطرائقها لا يلحقها تغيير ، والقانون الذي يجري حكمه على اللغة هو قانون الطبيعة نفسها ، ولا دخل فيهِ لارادة الانسان الحرة ، أو اختياره ، فهو لا يستطيع أن يستحدث فيها ويغير ، ويزيد وينقص ، على هواه ، كما لا يستطيع أن يغير قانون الدورة الدموية في بدنه ، أو أن يضيف إصبعاً بله شبراً الى قامته . وكما ان الانسان لا يتسنى لهُ أن يقبض على زمام الطبيعة إلاَّ اذا عرف قانونها وتوخاه ، كذلك لا يستطيع الكاتب أو الشاعر أن يقبض على ناصية اللغة ويتصرف فيها ويبلغ بها حيث يريد إلاَّ بعد أن يحيط بقانونها وينزل على حكمها.

وقد حكوا عن الامبراطور تيبريُس Tiberius أنه أخطأ مرة في كلمة فرده بعضهم الى الصواب ، فقال منافق ان الامبراطور نطق بها صحيحة وجاء بها على وجهها ، فاذا لم يكن هذا كذلك ، فأحرِ بأن يصبح ما قاله هو الصواب . فعاد الاول يقول : «هذا كذب ونفاق أيها القيصر ، فانك تستطيع ان تمنح الناس الجنسية الرومانية ، ولكن الألفاظ فوق سلطانك » .

وهنا موضع التحرز ، فان اللغة لغتان ، واحدة تستقر وتثبت على صورة فلا يلحقها التغيير الاَّ في النادر والاَّ في ما لا يمس الاصول ، وهذه هي التي تكتب ولها آداب ، وأخرى هي اللهجات ، أي لغات الكلام وهذه دائمة التغير ، ولا ثبات لها على حال ، لأنها لم ترزق ما يقيدها الضبط ويصدها عن التبدل والتحول المستمرين . واللهجات أسبق من اللغات

الثابتة ، او لغات الكتابة والأدب . وليست لغة الكتابة والأدب الاّ احدى اللهجات ، وما كانت لغتنا العربية إلاّ واحدة من لهجات العرب في الجاهلية ، وقد كتب لها السيادة وقسم لها الاستعلاء ، قبل الاسلام بقليل ، ثم ثبت لها ذلك بنزول القرآن الكريم بها ، فاندمجت فيها اللهجات الأخرى ، ولولا القرآن لما عجزت اللهجات الاخرى عن الحياة ، ولكان من الممكن — اذا ساعفت احداها الأحوال — ان تفيد قوة ، تسترد بها مكانتها .

واللهجات ليست محلية او اقليمية فحسب ، فان هناك لهجات طائفية ايضاً لا عداد لها ، مثل لهجات الرعاة والفرسان ، والجنود ، والزراع ، والبحارة ، وأصحاب الحرف . ومن هنا — على سبيل المثال — كثرة اسماء السيف وغيره من ضروب السلاح ، وما يطلق على الخيل وحملها ونتاجها واسنانها وخلقها وصفاتها ونعوتها والوانها وشياتها واصواتها وعيوبها وأدوائها وعدوها ، وربطها وعلفها وسروجها ، ونعوت الابل في اخلافها وحلبها وكثرة ألبانها أو قلتها وضعفها أو هزالها وأسنمتها وألوانها وأوبارها الى آخر هذا وأمثاله . ومن هنا ايضاً هذا التدقيق الشديد في اسماء الجماعات من الناس وغيرهم . ومرجع هذا الى نوع الحياة التي تحياها الجماعة او القبيلة وانحصارها في نطاق ضيق . فتصبح العناية بالتفاصيل ميسورة ، كما لا يمكن ان تكون في جماعة كبيرة متحضرة جوانب حياتها عديدة .

* * *

وبعد ، فان ابن لغة الكتابة والأدب لا يسعهُ الاّ ان يلم بها وبأصولها وأدبها — أي بقانونها الذي اكتسب صفة الثبات ، وروحها الذي يمكن ان نسميه « الغريزي » اذا هو أراد ان يمضي على النهج القويم ، فما يمكن ان يتصرف فيها تصرف الاقدار او ان يقضي فيها بأمره كما كان يقضي سلاطين الاتراك ، او اصحاب الحكم بأمرهم في زماننا . حتى العامية او اللهجات ، لا يتسنى فيها مثل هذا العسف . وصحيح ان الفرد هو الذي يستحدث الالفاظ او الصور الجديدة ، ولكنهُ انما يستطيع ان يفعل ذلك بعد ان يتسرب بروحه في الجماعة ، ثم هو لا يفعل هذا عن عمد وبعد اعمال فكر ، وطول تأمل وتدبر ، وانما يصدر عنهُ ما يصدر وهو غير مدرك او دارٍ ، لانهُ إنما يتصرف وفق قوانين طبيعية لا سلطان له عليها ولا سيطرة ، وبعد تهيؤ روح الجماعة او الطائفة التي هو منها .

ابرهيم عبد القادر المازني

٢ - الكتب

• أغنية الرياح الأربع • بقلم علي محمود طه

١٤ × ٢٠ ١٣٢ ص عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٩٤٣ *

> « نظمها شاعر مصري عاش قبل الميلاد بما يقرب من الفي عام ، ونوه بكشفها ، ونقلها الى الفرنسية العلامة الجليل الاب دريتون عام ١٩٤٢ ، وأتمها وقدم لها شاعر مصري محدث بعد الميلاد بما يقرب من الفي عام محاولا أن يتخيل قصتها وأن يهيء لها جواً مسرحياً »
>
> عن مقدمة الديوان

في نظم الأستاذ المهندس علي محمود طه رنة جذابة وحلاوة بحترية ، الرأي فيهما أنهما مستمدّتان بمهارة من الشوقيات من حيث النفس والقوافي والتأثر بالأهازيج الميسورة . وشوقي حقيق بأن تترسم خطاه . ولا يفوتنا أن نقول أيضاً إن « أغنية الرياح الأربع » في موضوعها ومحاولات ناظمها تدل على أنه ممن أطالوا القراءة لشعراء المهجر الاميركي وحذوا حذو مجلة « أپولو » (المدرسة الشعرية المصرية) فالشاعر يطرب لترانيم أبي شادي إذ هناك أوجه شبه بين اتجاهه وبين ما نظمه أبو شادي من روايات غنائية منها « الآلهة » . ثم ان الاستاذ طه من الذين استطاعوا ان يظفروا بحظ كبير من عناية الصحف ، وذلك مما يبعثنا على أن نلتفت الى منظوماته ونعنى بها كل العناية .

في منظومة « الرياح الأربع » أجد حقًّا ريح الجودة في مواقف (ص ٦٠ ، ١٢٦) وفيها مقطوعات تشهد بأن الشاعرية في الاستاذ المهندس لو اكتملت وخلصت لأثمرت وآتت أكلاً شهيًّا لهُ شأن في ميدان رسالات الشعراء .

فما نأسف لهُ أن شاعراً في مكانة الاستاذ جذبهُ تلذُّذ عامة السامعين والقارئين بالأغاني الشعبية ، فلم يُكبر نظمه أن تجري فيه تعبيرات مبتذلة . وهذا من مضار رواج تلك الأغاني التي هيهات أن تمت الى الفن الرفيع بصلة قويمة .

فقد حاول الاستاذ أن يسلس قريضه ، وذاك في الحق لون من الجمال ، ولكنهُ لم يوفق كل التوفيق ، فالشعبيات وأمثالها في مسرحيته غير قليلة . ودونك أمثلة : « هيمان هيمان

---

* رتبت أسامي الكتب على حروف الهجاء

يا غرامي » ص ١١ — « ضمي هنا رأسك يا حبيبتي » ص ٢٩ — « لشد ما أهواك يا جميلتي » ص ٢٩ — « فيما مضى من غابر الايام » ص ٣٣ . ومن التعابير التي يتأثر فيهـا العامة : « يلعب بسيفه » يريد : يحرك ، لا يلعب — وفي الأغنية أيضاً :

« كثيرون مثلك مروا بنا   فردوا الزبائن عن بابنا »

وأضر من هذا بالشعر على الإطلاق إن يتهاون الشاعر بلغة الضاد والقرآن الكريم . فقد نبه من قبل أستاذنا إبرهيم عبد القادر المازني على أن الأديب المهندس يستعمل اللغة جزافا . والمنظومة الجديدة تشهد بشيء من هـذا سواء في النظم أو النثر . ونحن لا نرى دعوى التجديد مسوّغة مثل ذلك . ولا بدّ لنـا من الوقوف والتنبيه على هذا : « يقبّـلان بعضهما » ص ٢٩، والصواب يقبل أحدهما الآخر — « اكتراث بالجميع » ص ٣٠، والأولى: للجميع — « واضطرح توافه العقائد » والصواب : واطرح — « عقداً مصاغاً » ص ٥٢ ، والصواب : مصوغاً — « يتفرَّجنَ على سفينة » ص ٦٣ ، والمراد : يشاهدنها، وليس تفرج بهذا المعنى منقولاً عن الفصيح ، — « وهلاَّ نزلت الآن » ص ٧٦ ، والصواب : هلاَّ تنزلين، لأن المقصود هنا الحض لا اللوم — « أنا التي أعير » ص ٧٣ والصواب : التي تعير — « دماؤكم اول ما تباح » ص ١٢٨ ، والوجه : يباح، لعودتها على « ما » — « منشغلات » ص ١٠٣، والأقوم : مشغولات — « ما عدت أعي » ص ١٤٤، وعليه أن يقول : عدت لا أعي

ولا أريد أن أنبه على الأخطاء المطبعية وهي غير قليلة ، فلعل لصاحب الديوان عذرا .

وبعد فربما أهمل الاستاذ الشاعر بعض التشويق المسرحي . ففاته مثلاً أن يترك الخطابة في التعبير وينصرف الى بعد الفكرة التي في الأغنية الفرعونيـة ، المأخوذ عنهـا . ثم الى تجاوب أطوار الحركة على المسرح ، وفاته أيضاً أن يرسم الشخصيات بقوة ووضوح ويكشف ملامحهم حتى لا يمل الناظر ويضيق بمتابعة الناظم الى آخر الفصول . أقول هذا وأنا أتذكر ما أحس به حين أطالع المسرحيات الرفيعة التي ترجمها شاعرنا خليل بك مطران وغيره من روّاد الأدب المسرحي .

وعندي أن الشاعر المهندس برع في نظم المقطوعات وقصيد المناسبات براعة تستحق التقدير . وما أظن ذلك شأنه في معالجة القصة شعراً وليس هذا بضائر له ، كلاّ ! فله الثناء على جهوده في سعيه الذي نظم به قصةً رائعة مقتبسةً قضيت في قراءتها وقتاً لا آسف عليه .

كامل محمد عجلان

• الجيش والبحرية في مصر من الفتح العربي إلى بداية العصر الطولوني •

بقلم سيدة اسماعيل كاشف

١٤ × ١٩ ½ ٤٠ ص وزارة الدفاع الوطني القاهرة ١٩٤٤

تنطوي هذه الرسالة على مقدمة وبابين : المقدمة إجمال لفصول جاءت في الكتاب الذي تقدمت به الآنسة سيدة كاشف الى كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول فحصلت على درجة « الماجستير » . والباب الاول في الجيش والثاني في البحرية .

وقد وفقت الآنسة في عرض نظام الجيش العربي وطبيعته وتطوره بمصر في فجر الاسلام . وتحدثت عن حرص الخليفة عمر بن الخطاب على منع الجند العرب من الاشتغال بالزراعة أو التجارة ، وأحسنت في تفنيد رأي المستشرق لين بول Lane-Poole في تعليل تلك السياسة بأن الاستعمار المنظم كان بعيداً كل البعد عن تفكير عمر ، وان غزوات المسلمين في البداءة كانت حملات عابرة . وردّت الآنسة بأن ملك الجند للارض ليس شرطاً للاستعمار المنظم ، وبأن تلك السياسة كانت سياسة موضوعة ترمي الى نشر الدين وسلطان المسلمين بدون التعرض لشؤون الشعوب المغلوبة على أمرها . واعتمدت الآنسة في بعض أطراف الموضوع على ما جاء في أوراق البردي من وثائق تشير الى أعطية الجند وأرزاقهم ، وعنيت بشرح ما كان لوادي النيل من شأن بوصفه قاعدة للفتوحات وما كان لحاميته من فضل في غزو شمالي افريقية وبلاد النوبة .

أما الباب الثاني فقد عرضت فيه الآنسة جهود مصر في بناء الأساطيل الاسلامية الأولى وما كان لخبرة الملاحين والعمال المصريين من أثر في انتقال السيادة البحرية من الروم الى العرب في ذلك العصر . وأشارت الى ان نشاط المصريين لم يقف عند اعداد الأسطول المصري ، فان والي مصر كان يرسل بعض الملاحين المصريين للعمل في أسطول المغرب او اسطول المشرق فكانوا يساهمون في الاعمال البحرية العامة للدولة الاسلامية

ولما تحدثت الآنسة عن الانتصارات الاسلامية الاولى في البحر المتوسط عرضت لوقعة «ذي الصواري» وذكرت أنها سميت بهذا الاسم لكثرة صواري السفن التى التحمت في في القتال فيها ، وقالت انها تسمى في الكتب الاوربية واقعة فونيكة لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكة Phoenicus غربي الاسكندرية . وهكذا نرى ان الكاتبة قد رجحت في هذا الصدد الرأي القائل بأن واقعة ذي الصواري حدثت على مقربة من الاسكندرية . وهو الرأي الذي يستنبط من النصوص العربية ، ونفضله على الرأي الذي يراه معظم المستشرقين

تأثراً لقول قاله أحدهم في القرن الماضي ، وخلاصته ان وقعة ذي الصواري حدثت جنوبي آسية الصغرى بجوار ثغر فونيكس Phœnix . وآخر من فصل هذه المسألة الاستاذ ماريوس كانار في مقال بالمجلة الاسيوية الفرنسية (يناير — مارس سنة ١٩٢٦)

Les Expéditions des Arabes contre Constantinople dans l'Histoire et dans la Légende

ولا ريب في أن أساس هذا القول نجده في ما كتبه المؤرخ اليوناني تيوفانس Théophane غير ان الحق ان هذا المؤلف كان يخلط كثيراً في ذكر الوقائع البحرية ، فقد ذكر مثلاً ان اسم قائد المسلمين في الوقعة التي يظنونها وقعة ذي الصواري هو أبو الأعور على حين المعروف أن هذا القائد كان عبد الله بن أبي السرح . ومع ان الاستاذ كانار نفسه لم يخرج في هذه المسألة عن رأي معظم من سبقه من المستشرقين، فانه أشار الى احتمال الخلط في ذكر هذه الوقائع عند المؤلفين المسيحيين ، لأن الغزوات البحرية كانت على استئناف مستمر .

فنحن نقر الآنسة على قولها بأن وقعة ذي الصواري نشبت على مقربة من الاسكندرية ولكن المقام لم يمكنها في رسالتها ولا يمكننا في هذا الباب من سرد الأسباب التي ترجح هذا الرأي ، فحسبنا أن نوجه القارئ المستزيد الى ما جاء في كتب التاريخ العربية عن هذه الوقعة، والى مقال الاستاذ الفرنسي كانار ومقال المستشرق الالماني ڤلهوزن Wellhausen في حروب العرب والروم في العصر الاموي ، والى ما جاء في Annali حوليات المستشرق الايطالي كائيتاني Caetani .

هذا وكان في المأمول أن تعرض الآنسة ببعض التفصيل لما كان من التعاون في الجيش بين العرب والمصريين الذين دخلوا في الاسلام ، فكنا نود أن تجلي لنا على الخصوص نوع الخدمة التي كان يؤذن للمصريين في القيام بها في الحرب والسلم للرجالة من الجيش العربي .

زكي محمد حسن

• نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي • بقلم علي حسن عبد القادر

١٧½ × ٢٥ ٣١٢ ص مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٤٢

من الدراسات التي يجب أن نعنى بها عناية كبيرة تواريخ العلوم الاسلامية ، ومن أجلّها الفقه والتشريع الاسلامي ، ذلك لنعرف في باب الفقه كيف نشأ ، وكيف استوى على ساقه ، وكيف تطوّر حتى صار ما نعرف اليوم من أحكام — في مختلف ضروب الحياة وواقعاتها —

تختلف في قبولها والاعتداد بها باختلاف ما بُنيت عليه من الأسس، من القرآن والسنة النبوية . . . والأعراف المتعددة بتعدد الأقطار الاسلامية المختلفة . بذلك نعرف، كما يقول الأستاذ مؤلف الكتاب موضوع البحث والذي جعلنا اسمه عنواناً له، ما كان منهُ عملياً نافذاً، وما كان جدلياً أو مثالياً نظرياً . وبذلك نستطيع، فيما أرى، أن نختار منهُ في غير حرج ما بهِ يكون الخير في هذا العصر الذي نحن فيه والعصور التي تتلوه .

وقد غبر الأزهر دهراً طويلاً لا يعنى بهذه الناحية من الدراسات، اللهم إلاّ نفر قليل وجهوا قدراً من جهودهم الى هذه الدراسة من بعض جنباتها، وأمثلهم فيما نعرف المغفور له الشيخ حسين والي بما أرخ للتوحيد والتفسير والحديث بكتابات علمية قيّمة، بعضها لا يزال مخطوطاً ينتظر أن تعود الحياة دافقة قوية الى الأزهر فينشر تراث رجاله الأعلام !

والمشروع الذي وضعهُ زميلنا هو تأريخ الفقه بالمعنى الكامل، فيتناول القوانين المتصلة بالشريعة اتصالاً مباشراً، سواء أكان ذلك باندماج هذه القوانين في الشريعة أم بتأثير الشريعة في هذه القوانين، ويقصد بهذا قوانين العرب أيام الجاهلية وقوانين الشعوب التي دخلت في الاسلام، كما يمتد بحثه الى الأعراف التي كانت قائمة بين الشعوب الاسلامية نفسها (ص ٤) . ولهذا حصر الأدوار التي مرّ بها الفقه في خمسة، وتحدث في هذا الجزء الأول عن الثلاثة الاولى منها، وهي التي تنتهي بتأسيس المذاهب الفقهية المعروفة .

لقد ظهر قبل هذا الكتاب بحوث وكتب في تاريخ التشريع، منها القديم ومنها الحديث، ولكن هذا الكتاب يعتبر نوعاً طريفاً من البحث، ففيه الافادة الى حد كبير من بحوث العلماء المستشرقين، وفيه العمق والتحليل، وفيه رد الظواهر الى أسبابها وعناصرها الأولى، وفيه المقارنة التي يتم بها بيان الفكرة وفضلها . وذلك ما يجعلنا نوقن أن الاخوان الذين جمعوا بين ثقافة الأزهر وثقافة أوربة حريون أن يحققوا ما أنيط بهم من آمال الى حد كبير نغتبط بهِ، وبأنهُ ينتظر منهم خير كثير للدراسات العلمية العالية — الاسلامية والفلسفية والتاريخية — في الأزهر وغير الأزهر .

لقد عرض المؤلف في عمق وشجاعة لمشكلات كثيرة ففتح آفاقاً واسعة لإجالة الرأي :

عرض للتشريع بمكة وخصائصه، وإلى أهم ما دار عليهِ الوحي في المدينة من عقائد وتعاليم وتشاريع (٧ — ٢٥) . وخص القرآن بعد هذا، باعتباره المصدر الرئيسي للتشريع، بكلمة تاريخية عن نزوله والأحرف السبعة التي نزل بها، والنسخ وأنواعه (٢٥ — ٤٧) . وعرض بعد ذلك لصفات الرسول في التشريع، والى مصادر التشريع في

العصر النبوي . ثم انتقل الى عصر الصحابة والى فقه عمر والتشريع في عهده وأثره الكبير فيه ، والى اختلافات الصحابة وقد انتشروا في البلدان ، مبيّناً ان ذلك كان بدء تطور الفقه (٥٣-٨٣) . وعرض بعد هذا في توسع لمسألة حفظ القرآن وجمعه (٨٤ - ١٠٠)

ثم انتقل الى الدور الثاني وهو دور تأسيس الفقه ، مستعرضاً ما كان للاحداث السياسية من أثر كبير في الفقه والتشريع . وكان من هذا أن اخذ التشريع — في رأيه — ينفصل عن الحياة ، واخذ الفقه يتجه اتجاهاً نظريًا بعيداً عن الحياة العملية ، ملتمساً اسباب هذه الظاهرة من الهوة التي حدثت بين العلماء الاتقياء والحكام من الخلفاء الأمويين (١٠٠ — ١١٠) . وقد وقف هنا وقفة حسنة عند المصدر الثاني للفقه وهو السنة ، مبيناً في وضوح وروية العوامل التي كانت سبب ظهور مدرسة الحجاز ومدرسة العراق ، منتهياً إلى تحديد العمل الفقهي في هذا الدور بأن العناية بالروايات فيه كانت أقل من العناية بالرأي والفتوى (١١٠ — ١٥٨) . ولاتصال التفسير بالفقه ، أتى بكلمة موجزة مركزة عن مدى هذا الاتصال ، مبيناً أن من أسباب اختلاف الآراء في التفسير ما كان من اختلاف المصاحف وأن ذلك كان له طبعاً أثره في الفقه . وختم الحديث عن هذا الدور الثاني بالكلام على فرقتين كان لكل منهما فقه خاص له أصوله ومقاصده ، وهما الخوارج والشيعة (١٥٩ — ١٨٧) .

ونقل البحث بعد هذا الى الدور الثالث ، بادئاً ببيان ما كان لانتقال الخلافة الى العباسيين « من أثر هام جاوز السياسة الى الدين » ، ومن ذلك أن الحكومة في هذا العهد العباسي « كانت ملائمة لتطور الفقه وللاعتناء بالحياة القانونية على الوجه الديني » ، مستشهداً بما وضعه كل من أبي يوسف بطلب الرشيد والخصاف بطلب المهتدي في كتاب الخراج من نُظم الحكومة وادارة الدولة على أساس من الفقه القائم على السنة (١٨٧ — ٢٠٠) . وكذلك أخذت الاختلافات تظهر واضحة بين مدرسة الحجاز ومدرسة العراق (٢٠٥ — ٢١٧) .

أخذ بعد هذا في الكلام على الامام أبي حنيفة « الذي استقرت عنده وعند اصحابه مذاهب العراق » ففحص المحيط العلمي الذي نشأ فيهِ ، ثم ابان فضل اصحابهِ في بناء شخصيته (٢١٨ — ٢٢٨) . والكلام على ابي حنيفة ومذهبه جرّ الى مسألة « الحيل » الشرعية ، والى حكمُ الاسلام فيها بصفة عامة (٢٢٨-٢٣٥) . وبعد كلمة على أشهر تلاميذ الامام وأصحابه ، انتقل الى الكلام على الامام مالك ومذهبه الذي يقوم على الحديث وعمل اهل المدينة والرأي احياناً (٢٤٣ — ٢٥٠) . ثم ساق الحديث الى الشافعي واصوله الفقهية وطريقته

التي تجعل مذهبه وسطاً بين أهل الرأي واهل الحديث ، كما كانت « رسالته » نقطة الانتقال التاريخية للفقه الاسلامي (٢٥٦ — ٢٦١) .

ثم انتقل بعد ذلك الى الكلام على ابي سليمان داود الظاهري ومدرسته التي كان « اهم ما تخالف فيه المدارس الاخرى هو استعمال مصادر الراي والقياس » وعلى تطور هذا المذهب على أيدي تلاميذ مؤسسه (٢٦٥ — ٢٧٢) . واخيراً ، جاء الحديث عن الامام ابن حنبل ومكانه في الفقه في كلمة قصيرة ، وعن مدى انتشار كل من المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة وغيرها في القرن الرابع ، واسباب هذا الانتشار (٢٧٤ — ٢٨٥) . ثم تحدث عن اثر الفقه بصفة عامة في العناية بالحديث وجمعه وتصنيفه مع طرق ذلك (٢٨٦ — ٢٩٦) .

وتكلم بعد هذا في ما كان من نقد الحديث وطريقته « وهو يقوم على النظر الى الرجال في الاسناد وعدالتهم وضبطهم وغير ذلك » ، دون اهتمام كبير بمتن الحديث ، ولذلك نقدها نقداً حقاً (٣٠٢ — ٣٠٥) . وانتهى الكتاب باشارة عابرة الى خمود التأليف وقفل باب الاجتهاد في القرن الرابع ، والرجوع الى التقليد بعد ما استقرت المذاهب الأربعة المعروفة .

• • •

ذلك جماع ما حواه الكتاب الذي بأيدينا ، ومنهُ تعلم كم كان مؤلفهُ متواضعاً حين أكد في مقدمته أن ما وصلت اليهِ أعماله في هذه الناحية لا يمكن بحال أن يتعدى المحاولات العلمية في هذا الصدد ! لقد حوى الكتاب مسائل كثيرة لكل منها خطرها ، وأثار مشكلات شتى أمكنهُ أن يعالج ما عالج منها بمقدرة وجدارة حريّتين بالتقدير .

هذا ، وكنا نود أن نقف عند هذا الحد ، لولا حق العلم والنقد الحق ، لذلك نرى أن فتقدم بهذه الملاحظات التي لا تنقص من قيمة هذا العمل الكبير :

١ — في بعض المسائل التي تحتمل وجوهاً مختلفة من الرأي ، يرى القارئ أحياناً الميل الى بعض الآراء التي قد تخالف ما اجتمعت عليه الروايات الاسلامية ، وقد يكون هذا الميل صريحاً ، وقد يكون بعرض الآراء بلا ترجيح ما اتفق عليه أكثر الروايات الاسلامية في حالات لا يوجب الحق — في رأيي — الميل عنها . ونجد مصداق هذا في مسألة الصلاة وأنها كما يرى بعض المستشرقين فرضت في أول الأمر مرتين : بالغداة والعشي ، مخالفاً بذلك بلا ضرورة الروايات الاسلامية التي تقرر أنها فرضت خمساً مرة واحدة (ص ١٤) . وكذلك أمية الرسول ، فقد أثبت أولاً أن معناها عدم معرفته القراءة والكتابة على ما حققهُ جمهور العلماء قديماً واعتمده كثير من الباحثين في هذا العصر ، ثم جاء بعد سطور وفسّر الأمية بعدم معرفة الكتب القديمة ، لا بعدم معرفة القراءة والكتابة (٢٥ — ٢٦) .

٢ — يشعر القارىء أحياناً بشيء من العسر في التوفيق بين ما يذهب اليه في مواضع مختلفة في المسألة الواحدة . من ذلك ما قرره ص ١٠٨ من أنهُ بدأ في العهد الأموي تأسيس علم الفقه الذي يقوم على منهاج نظري مثالي لا يمت إلاّ بسبب ضعيف للحياة العملية ، ثم تأكيده بعد هذا أن عمل الفقهاء في هذا العصر كان ادخال مبادئ الدين في العادات المعمول بها إذ ذاك ، ومعنى هذا — في ما أرى — أن الفقه كان عمليًّا لا نظريًّا مثاليًّا . ومن ذلك أنهُ يقرر أن أبا حنيفة لم يوجد لنا حقيقة طريقة فقهية ، بل انهُ لا يوجد في الفقه الاسلامي طريقة بالمعنى الحقيقي (٢٢٦) ، على حين أنه قد قرر قبل هذا (٢٢٣) أنهُ ظهرت على يدي أبي حنيفة لأول مرة طريقة منظمة للفقه على أساس القياس ، كما أنهُ يقرر بعد هذا (٢٥٦) أنه إلى الشافعي يرجع الفضل في أنه أوجد طريقة وأقام اصلاحاً فقهيًّا . ومن ذلك ما يراه (٢٣٠) من أن الحيل في نتيجتها احتيال على الخروج من سلطان الفقه والقانون الاسلامي ، فهي لهذا أعمال إذا استعملت على وجهها الصحيح ظهرت غير مأذون فيها ، على حين يقرر بعد هذا (٢٣٥) أن فكرة الحيل لا تنافي الأخلاق ، فهي في الحقيقة ليست مركباً للذين يريدون أن يتخطوا الشريعة ويتركوا العمل بها . ولابن القيم في كتابه « إعلام الموقعين » بالجزء الثالث بحث حسن في الحيل وأنواعها والأحكام الشرعية التي تتعاورها ، ومنه يتبين الباحث انها كلها ليست حراماً ويراد بها التفلت من سلطان الفقه وأحكامه .

وعناية المؤلف بالحديث عن « الحيل » عند الحنفية جعلته يروي عن الخطيب صاحب « تاريخ بغداد » أن هناك لأبي حنيفة كتاباً في الحيل لا يتفق مطلقاً والدين ، ثم يترك هذه الفرية بلا تكذيب قاطع صريح ، مع أن ذلك كان واجباً وميسوراً كما ورد بكتاب « تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب » ص ١٢١ — ١٢٢ للعلامة الشيخ الكوثري .

وبعد ، فهذا العمل ، الذي حاولنا وصفه للقارئ عمل حري بالتقدير من الذين يعنون بالدراسات الفقهية في الأزهر وغير الأزهر . هو حري بهذا ، بما حوى من مسائل ، وبما عالج من مشاكل ، وبالنهج القويم الذي قام عليه ، وبالمراجع الكثيرة الأصيلة العربية والألمانية التي رجع اليها المؤلف . لذلك ندعو أن يديم الله الانتفاع به ، وأن يعين صاحبه على السير به الى ما يرجو له من كمال .

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين بالازهر

◆

• بلزاك •(١) بقلم **أحمد الصاوي محمد**

١٤ × ١٩½ ١٤١ ص مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٤٤

هي سيرة الكاتب الفرنسي بلزاك من قصاص المائة التاسعة عشرة ، ساقها المؤلف في أسلوب القصَص المسلّي فأدناها إلى عامة الجمهور .

*

• تلاقي الأكفاء • بقلم **علي أدهم**

١٣½ × ١٩½ ١٥١ ص مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٤٤

مشاهد من التاريخ مقتطفة من هنا وهنالك . ويبدو للقارئ أنها على هامش التاريخ ، وأنها قصص وأحاديث تبعث التسلية بما فيها من طرائف . ولكنها ، مع ذلك ، لا تخلو من شأن ، إذ تكشف بعض المناحي المجهولة من الشخصيات البارزة ، وتعين الباحث في هذه الشخصيات على اكتناه أسرارها . وفي هذا الكتاب ما يؤانس القارئ . وفصوله التي تنتقل بهِ بين التاريخ الشرقي والغربي وتصور لهُ من شخصياته ، تبعث النفس الى الاستزادة والاستقصاء في المراجع التاريخية الحافلة . ومن أمثلة ما في الكتاب : « لغز تاريخي حول وفاة القيصر الأكبر » و « بين نابليون وتاليران » و « صفحات من حياة الحكم أمير الأندلس » . وقد صاغ المؤلف هذه الأحاديث التاريخية في أسلوب متخيَّر .

*

• ثبت ما قبل التاريخ المصري • بقلم **شارل بشتلي**

Bibliographie de la préhistoire égyptienne

١٦ × ٢٥ ٧٧ ص الجمعية الجغرافية الملكية المصرية ١٩٤٢

هذا مسرد كامل باللغة الفرنسية لجميع ما نشر في شأن ما قبل التاريخ المصري المعروف . وهو جمع ضاف لكتب ورسائل ومقالات ، جلها في وصف الحفريات ونتائجها من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٩٣٨ . وهي مكتوبة بلغات أوربية مختلفة ، وبالعربية في الندرة . وفضل هذا المسرد المرتب على حروف الهجاء الأوربي أنه يقرب المراجع ويلم تفاريقها ، فيمهد للباحث في ذلك التاريخ الوعر المسلكِ خطط التنقيب ، ويدني اليه اسباب المراجعة .

*

---

(١) النجم يرمز الى اسم من أسماء المتعاونين على الانشاء في هذا الباب

• شيكسبير • بقلم محمد فريد أبو حديد ، زكي نجيب محمود ، أحمد خاكي

١١½ × ١٦½ ١٧٦ ص مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٤٤ سلسلة « اقرأ »

• مباحث في الفلسفة والاخلاق • بقلم محمد يوسف موسى

١٣½ × ١٩ ١٧٠ ص مطبعة الازهر ١٩٤٣

ليس صاحب هذا الكتاب أجنبيًّا عن الفن الذي يؤلف فيه، بل هو من رجاله وأركانه؛ فلهُ « فلسفة الأخلاق في الاسلام وصلاتها بالفلسفة الاغريقية » ، ثم له « تاريخ الاخلاق » . وقد روجع هذان الكتابان في المقتطف من قبل ، وقال فيهما واحد من أهل النظر في الفلسفة قولاً حسنا .

وهذا الكتاب الخارج اليوم جد مفيد من حيث إنه يضم فصولاً مشبعة في غير إطالة مستدعاة ، تدور على تعريف الأخلاق وتبيين صلتها بالحكمة ، بل قل بالفلسفة . والفصول موزعة بين الأخلاق والعلم وما فيهما من النظريات، ثم مكانة الأخلاق من الفلسفة إذ هي فرع من فروعها على صلتها بغيرها من العلوم ، ثم الخلق وتكوينهُ مع تعرف المؤثرات فيه الى جنب الفطرة والوراثة ، ثم السلوك وما بينه وبين القصد ، والضمير وما مهمته ومظاهره وماهيته وتربيته ودرجاته ، ثم المثل الأعلى وكيف يختلف ويتكوّن ، ثم القياس الخلقي وانقسامه قسمين : عملي ونظري ، ومن هذا : العرف ، فما أصله وسلطانه ؟ وكيف يصلح لأن يكون مقياسا ؟ ومن هذا ايضاً : القانون ، فما أنواعه وفيه الطبيعي والوضعي والالهي والاخلاقي؟ ثم ما بين كل هذه من الفرق وما يترتب عليهِ من الحاجة الى البحث الأخلاقي مع وجود القانون الالهي .

ذلك مجمل موضوعات هذا السفر المتواضع من جهة العرض، القويم من جهة السرد . فانهُ وان كان كتبهُ صاحبه لطلبة الجامعة الأزهرية ليضم فوائد دانية كثيرة . فهو ينقل بفهم ويسر إلى قراء العربية ما رآه علماء الغرب في الموضوع الذي يعالجه ، ويردف ذلك بما يواطئه أو يعارضه في مؤلفات السلف من حكمائنا ؛ مع استقلال في النظر . فهذا تقريب لطيف .

وليت الكتاب ضمَّ في آخره مسرداً للاعلام العربية والافرنجية ، وآخَر للمصطلحات وما ينظر اليها في إحدى اللغات الاوربية .

*

٣ - الاستدراك

• الحيوان • الجزء الخامس • للجاحظ

بتحقيق وشرح : **عبد السلام محمد هارون**

١٧ × ٢٤ ٦٣٩ ص مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٤٣

١ — تمهيد : أبو عثمان عمرو بن بحر المشهور بالجاحظ ، هو أكتب كتاب العرب على الاطلاق ، منذ أن وجدوا على الارض الى عهدنا هذا . ولعلّ القارئ يعجب من هذا الكلام ، ويعزوه الى جهلنا لتاريخ الآداب العربية ، أو لا أقلّ من أن ينسبنا الى الغلوّ الفاحش ، لكن الحقيقة أننا لا ننطق عن غرض ، ولا عن هوى ، إنما ننطق بالحقيقة مجردة عن كل غاية ، أو فكرة ملتوية .

نعم ، لقد قام في بني مُضر كتّاب نوابغ بلغاء فصحاء أبدعوا في ما نمقوا ووشوا من رفيع القول ، ومسجّعه ، ومن مختار الالفاظ وأدقها تعبيراً عن المراد ، ومنهم من أغربوا فيها إغراباً فاقوا من تقدمهم في النطق ، واتخذوا من الكلم أعوصها وأغمضها ، لكن ذلك كلهُ ليس بشيءٍ يذكر بجانب ما أبدعهُ الجاحظ وصنفهُ ووصفهُ من متقن العبارة ومحكمها ، فانهُ يستحق وحده أن ينعت بـ«وصّاف الدقائق(١)» من بين كل من قبض على اليراعة العربية .

٢ — نظرة عامة في تصانيف الجاحظ : للجاحظ تصانيف ورسائل عدة مختلفة المواضيع ، بلغت ١٢٥ على قول ياقوت الحمويّ ، في معجمه المعروف بمعجم الأدباء ، لكن

---

(١) المراد بوصاف الدقائق من يكتب على الاشياء ، ويصورها تصويراً دقيقاً يمثلها بين يديك تمثيلا كأنك تراها رأي العين ، وتلمسها لمس اليد ، حتى كأنه ينطقها نطقاً حياً ، تغنيك عن مقابلتها ومشاهدتها بوسيلة أخرى ، لأنك ترى محاسنها ومعايبها جميعاً على حد سواء .

ويسمي الافرنج « وصاف الدقائق » : Réaliste وقد حاول بعضهم نقلها الى لساننا بقولهم « كاتباً واقعياً » وآخرون بقولهم : « مصور الاشخاص والاشياء كما هي بدون تجميلها » وبعضهم قالوا : هو « الكاتب الواقعي » . وفريق « القائل بحقيقة الاشياء » وجماعة : « القائل بالمذهب الحسي والواقعي » . وآخرون غيرما مر بك من الالفاظ والتعابير ، وكلها لا تفي بالمطلوب من الحرف الافرنجي . هذا ويقابلها عندنا : « وصاف الخياليات » وعندهم : Idéaliste .

لم ينشر منها الى الآن — على ما نعهد — إلا ٢١ ، بينهـا كتاب البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان . وأحسن مؤلفاته : البيان والتبيين ، وأثمن منهُ وأبدع كتاب : الحيوان . إلاَّ أن إخراج هذه الدرة من مغاصها بسبع لآلئ (سبع مجلدات) على نفقة الحاج محمد السَّاسي ، حط من ثمنها ومن شرف ثِينـها (١) ، إذ أزال كثيراً من محسنات الكتاب ، وروائعهِ ، ومبتكرات أقواله ، فيعثر القارئُ في كل صفحة من صفحـاتهِ على أوهام ، وتصحيفات ، وتحريفات ، ونواقص ، ومحذوفاتٍ ، تخل بسياق المعنى ، كما ان ثمَّ دواخل ومفأَماتٍ (٢) مما يشجي ويبكي وينكي ، ويحول دون القارئ من المضي في وجههِ قدما .

٣ — إعادة طبع كتاب الحيوان : فلمـا رأى أولادُ مصطفى البابي الحلبي الدركة التي انحط اليها هذا الأثر النفيس الذي يعدُّ من أفخر مفاخر الناطقين بالضـاد ، انتدبوا لابرازه الى عالَم البعث والنشور والخلود ، شابـًّا مصريـًّا جمع الى توغلهِ في الآداب والعلوم العربية وقوفَـهُ أحسن وقوف على تصانيف الجاحظ ، وآرائهِ وأفكاره ، ومعارفهِ ، فأبرز الى نور النشور أربع مجلدات منهُ . وبين يدينا الجزء الخامس الذي يعدُّ أوسع المجلدات ، وأصعبها فهماً لما حوى صدره من الآراء الفلسفية الغامضة ، وما وقع فيهِ من التصحيف والتحريف .

وفي هذا المجلد يبحث الجاحظ عن الطير التي تألف الدور وعن الفئران والجرذان ، والسنانير ، والعقارب ، وعن بعض الهوام كالبراغيث والقمل والصئبان ، والبق ، والجرجس والشران ، والفراش ، والأذى ، والعناكب ، والنحل ، والقراد ، ثم تبدو له بادرة فجأة ، كأنهُ فاتهُ شيء ، فيرجع القهقرى ويتكلم على الحبارى من الطير ، وعلى الضأن والمعز من الحيوان ، وعلى الضفادع من دويبات الماء ، ثم يعود ثانيةً فيكلمنا على الفرق بين الإنسان والبهيمة ، وعلى الانسان والسبع ، ثم يؤوب أوبة ثالثة كأنهُ يصحو من غيبةٍ او ذهول ، فيعقد فصلاً في القطا ، ويختم هذا الجزء بنوادر وأشعار وأحاديث .

٤ — محتويات كتاب الحيوان : وقد وسم المؤلف كتابهُ بالحيوان . أما الحقيقة فهي أنهُ مَعْلَمَـة ، « قائمة برأسها » ومشتملة على جميع العلوم والفنون المعروفة عهدئذٍ . فاذا القارئُ يصيب فيها أنواع المباحث والموضوعات ، كالتفسير والحديث ، وعلم الكلام ،

---

(١) الثين بكسر الثاء المثلثة : مستخرج الدرة من البحر .

(٢) مفأمات : جمع مفأم ، اسم مفعول من أفأمه ، أي وسعه وزاد فيه .

والفلسفة ، والمنطق ، وأنواع المذاهب ، والأديان ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والبلدان ، والتراجم ، والشعر ، والحكم ، والأشعار ، والأمثال ، وعلم الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، وكل ما وصل اليه العرب من علم الفلك والظواهر الجوية ، والقصص والروايات ، والأخلاق ، فضلاً عما وضعهُ هو من نفسهِ من الأقوال ومن فكره الخاص به من الآراء . وهذا ليس بقليل .

فالمطالع يرى عظم نفع هذا التصنيف ، فهو يغني عن خزانة كتب مختلفة المباحث والمواضيع . ووجوب تسليمه الى أديب يتمكن من اخراجه بجميع ألوانه المتموجة المتألقة ، وإلباسه أثمن حلة وأبدع وشي . وهذا ما فعله الاستاذ عبد السلام محمد هارون .

٥ — حسنات هذه الطبعة : ان المعتني بطبعه لم يضنّ بالحواشي على اختلاف أبوابها ومعانيها ، ومواضيعها . وقد وجّه الأنظار مراراً لا تحصى الى الأصول التي ورد مناهلها ليعيد صحة الرواية الى نصابها الذي كانت وضعت فيهِ في بادئ الأمر ، من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأخبار تاريخية ، وتصحيحات علمية ، وخرافات دخيلة ، وموضوعة ، ومأثورة عن السلف . ففاز المحرّر بالسهم الأوفى وبالنصيب الأعلى مما توخى .

فلقد رأيناه صحح آيات قرآنية لم يوردها المؤلف على وجهها ، كما هي في السور ، وهذا عجيب من مسلم علامة مثل الجاحظ صاحب الفرقة الجاحظية (١) . فلقد صحح عبد السلام ما ورد منها في هذا الجزء في الصفحات ٣٢ و ٩٣ و ١٣٧ و ٥٤٤ و ٥٤٧ .

ومن مزايا هذه النسخة أن المحرر ضبط جميع الحروف التي تحتاج الى تشكيل وتدوين وضبط ، وربما زاد على الضبط بالعلامات ، الضبط بالكلام ، كل مرة مست الحاجة الى هذا الأمر .

ومن مزاياها أنهُ طبع الحواشي متميزة عن النص بحرف دقيق بديع الرسم ، وعرّض تلك الحواشي ، حتى شغلت موطناً غير يسير من الكتاب ، ثم أخرج كل رقم من أرقام ترتيبها

---

(١) قال في شرح المواقف : الجاحظية : فرقة من المعتزلة ، وهم أصحاب الجاحظ ، قالوا : المعارف كلها ضرورية ، ولا ارادة في الشاهد ، أي في الواحد منا ، انما هي ارادته لفعله : عدم السهو ، أي كونه عالماً به ، غير ساه عنه . وارادته لفعل الغير ، هي : ميل النفس اليه . وقالوا : ان للاجسام طبائع مختلفة لها آثار مخصوصة ، ويمتنع انعدام الجواهر ، وانما تتبدل الاعراض ، والجواهر باقية على حالها ، كما قيل في الهيولى ، والنار تجذب الى نفسها أهلها ، لا ان الله يدخلهم فيها . والخير والشر من فعل العبد . والقرآن جسد ينقلب تارة رجلاً ، وتارة امرأة» . اهـ

بحيث تبدو للناظر ، من غير أن يبحث عن موطنها وموقعها من الصفحة .

ومن خصائصها أن المحقق استعمل التنقيط في جميع الأوجه ، من أنف الديوان إلى أخمصه ، ولم يخالف قواعده في عبارة واحدة ، حتى في الحواشي ، وحتى في أمر زهيد . ذلك ما لم نره في أي تأليف طبع في الغرب ، فضلاً عن الشرق في لغة الضاد .

وأعاد طائفة من الكلم إلى مواطنها ، تلك الحروف التي يخل حذفها بالمعنى إخلالاً لا يخلو من معرة وسوء عقبى ، وقد أسقطها النساخ ، والورّاقون ، وسيئو النيات ، وأرباب الغايات والأهواء . فبذل كل ما في وفاضه من السهام ، لكي يصمي صيده ، ولا يخفق ، فكان ما أراد .

وبذل كل ما في كنانته في تقطيع الموضوعات ، وإقامة الدبار (١) ، ليريح القارئ من تسلسل السطور وتتابع الكلم ، حتى يبقى المطالع مستريح البصر ، ومستجم القوى الفكرية ، بأن جعل لتلك الدبار عناوين مختلفة من وضعه ، عدا ما كان وضعه المؤلف من نفسه ، لوجوب هذا الأمر لمن يريد أن يجعل كتابه غذاء للفكر ، وراحة للبصر .

وكان بعض كتبة العصر يحذفون من عبارات الجاحظ كلمة « أيضاً » (٢) ، زاعمين أنه لم يستعملها . أما الأستاذ هارون ، فانهُ أبقاها في موطنها كل مرة وردت ، ولم يحفل باعتراضات المعترضين ، لأنها من أفصح الكلام وأقومه وأقدمه ، لورودها في جميع النسخ التي اعتمدها ، على اختلاف ناسخيها ووراقيها ، وقد عددت منها ثلاثين مرة ثم وقفت .

هذا بعض ما أردنا أن نشير اليه من باب السرعة ضنًّا بوقت القارئ وطلباً للايجاز .

◆ ◆ ◆

---

(١) الدبار بالكسر جمع دبرة ، بفتح الدال المهملة ، وسكون الباء الموحدة التحتية ، يليها راء فهاء في الآخر ، وهي البقعة تزرع كالمشارة ، ويريد بهما الكتاب وأرباب المطابع : جملة من الكلام تبتدئ برأس سطر بارز عن سائر السطور ، وتنتهي بعد طائفة من السطور ، اراحة للبصر وهي التي يسميها الفرنسيون Alinea والانكليز Break وتجمع المشارة على مشاور ومشائر كمنارة ومناور ومنائر .

(٢) فقد قال الجاحظ مثلا في ص ٢٣ : « وقد يقولون ذلك أيضاً على المثل » - وفي ص ٢٣ : « وهذه أيضاً فضيلة أخرى » - وفي تلك الصفحة نفسها : « جوزوا أيضاً أن يقولوا » - وفي ص ٤٥ : « ولو كان أيضاً التهافت ... » وفي ص ٤٨ : «وقد غلط أيضاً كثير منهم» - وفي ص ٦٥ : « ويدل أيضاً على ما قلنا » الى صفحات لا تحصى . وقد جرى المحرر - وهو تلميذ الجاحظ النبيه - جري أستاذه ، فلم يعمل بما قاله بعضهم في هذا الصدد ، بل تأثر معلمه عن كثب .

٦ — ما كنا نتمنى أن يكون في هذا الكتاب: كنا نتمنى ما يأتي :

— أن ترقم كل خمسة أسطر برقم ، حتى يسهل على القارئ الرجوع الى عددها من غير أن يعدها كل مرة وفي كل صفحة على حد ما يفعل اليوم جميع من يتولى نشر الكتب العلمية ولا سيما القديمة منها ، حين يضطر القارئ الى مراجعة بعض الألفاظ ، فلا يزحم نفسه لعدّ السطور لوجودها .

— نقل المحرر بعض عبارات افرنجية تفسيراً لبعض الكلم العربية ، نقلاً عن الأجانب. وكان يحسن به أن يترجمها الى العربية ، ليستفيد منها من لا يفهم الافرنجية كما جاء في الحاشية «١» من ص ٣٥١ وح ٧ ص ٤٦٨ .

— كان يحسن به أن يضع بجانب كل حرف يدل على حيوان أو نبات أو معدن ما يقابله عند الافرنج ، ليسهل على الباحث إتمام البحث عنه بحثاً علميًّا عند أولئك الأعاجم . لأنهم قتلوا تلك المواد خبراً ، فنحن نحتاج إلى عرفانهم لأننا عالة عليهم .

— كثيراً ما استعمل المحرر ألفاظاً كنا نتمنى ان يعدل عنها الى ما اشتهر اتخاذها عند الأدباء ، فانهُ استعمل (التنبيه) في مكان (الحاشية) ، كما في ص ٦ ح ٤ ، و٥٤٦ ح ١ و ٥٥٢ ح ٣ — وهي أكثر من أن تحصى . وقد اجتزأنا بهذه الاشارة الطفيفة .

— ورد في ص ٦٨ س ١٢ : « والثلج قد يداوى بهِ بعض المرضى ، ويتولد فيهِ الدود . . . » — قال المحرر في الحاشية « سبقت اشارة الجاحظ الى ديدان الثلج في (٣ : ٣٩٦ س ٦) . — ولم يذكر المؤلف اسمهُ عند العرب ، ولا المحرر في موطن من مواطن الديوان . والذي نعلمهُ أن اسمهُ (الزُّلال) وزان غراب . راجع تاج العروس في مستدرك (ز ل ل)

— ذكر المحرر في ٤٧ ح ٦ : « العفص ، بفتح العين بعدها فاء ساكنة : ثمر شجر جبلي يقارب البلوط » — والذي نعرفهُ ان العفص زيادة مرضية تجيء على بعض الأنبتة هي نتيجة وخز تخزه حشرة أو هامة ، وتضع في الوخز بيضها ، فينتج من هذا العمل ، ضرب من العقد أو الغدد هو هذا العفص ، فهو ليس بثمر كما يظن . أو كما كان يتصوره الأقدمون واسمهُ العلمي المشهور Quercus Lusitanica ودونهُ Quercus Infectoria وبالفرنسية Chêne à galles أو Ch. des Teinturiers وبالانكليزية الشائعة Dyer’s oak ودونها Gall Oak أو Nut Gall Oak . ويُنقل مقادير لا تحصى من عفص العراق الى

ديار الغرب لدخوله في الأصباغ وبعض الأدوية وفي عمل الحبر الأسود الذي لا يمحى والشديد السواد .

— نقل المحرّر الى الحرف اليوناني بعض الكلم العربية الهلنية الاصل فجاءت مخطوءًا فيها ، كما في أصل الهيولى في ص ٥٠ ح ٤ وص ٢٣٧ ح ١ الى غيرها ، وهي ليست بكثيرة .

— جاء في ح ٤ ص ٥٢ « الأرز بالفتح وبضم : شجر الصنوبر » — والمحققون يقولون : إن الأرز بفتح الهمزة وانهُ ليس بالعرعر ولا بالصنوبر ، بل إنهُ شجر قائم بنفسه اسمهُ العلمي Cedrus Libani وبالانكليزية Cedar of Lebanon وبالفرنسية Cèdre, Cèdre du Liban, Pin du Liban .

— وفي نص ص ٦١ : « وضروب الضباب والانداء ، فتراها إما صفراء وإما حمراء » . والصواب إما صفراً وإما حمراً : أي إن كلاًّ من صفراً وحمراً بالجمع المنصوب غير الممدود . والمدّ من جهل النساخ .

— ورد في ح ص ٨٤ : (الطلق) « بالاوربية العلمية » Talc أو Talcum متعادل مركب من (سليكات المغنيسيوم) اهـ . ولو قال المحشّي : وبالاوربية Talc أو Talcus لكان أضمن للصحة . ويحسن أن تكتب سليكاة بالهاء لا بالتاء المغنيسيا . راجع المقتطف ١٠٤ : ١٩٩

— وفي ح ٩ ، ص ٨٤ « والبركان عامية مأخوذة من : Volcano » . والذي عندنا أنها معربة وقد وردت في شعر ابن حمديس .

— وفي ح ٥ ص ٨٨ : « والعقيق هنا : البرق ، ولم تذكر المعاجم في هذه المادة بهذا المعنى الاّ العقيقة والعقق بضم ففتح » — قلنا : لم تذكر المعاجم العقيق لانها جمع قياسي لعقيقة ، كما قالوا سحاب وسحابة وأرز وأرزة وبقر وبقرة ، فهي قياسية . وقد نبه أرباب المعاجم أنهم غير مقيدين بذكر المقيسات من الحروف .

— وفي ح ٢ من ص ٩٥ : « فذا توفي حوالي سنة ٣٣٧ » . وقد استعمل المحرّر « حوالى » بمعنى نحو . وقد اكثر ارباب الصحف في هذا العهد من استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى . وقد قلنا مراراً ان الفصحاء من الكتبة لم يعرفوها . وربما قالوا في مكانها : في حدود سنة كذا .

— في ح ٢ من ص ١٤٥ : « والبشام : نبت طيب الريح والطعم » . فهذا تعريف عام لا يفيد فائدة علمية واضحة . ولو نقل عبارة لسان العرب لكان أجلى ، فقد قال بعد ان ذكر هذه العبارة : « شجر طيب الريح والطعم يستاك بهِ . قال أبو حنيفة : البشام ، يدق ورقهُ ويخلط بالحناء للتسويد ... والبشام : شجر ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق الصعتر ولا ثمر لهُ واذا قطعت ورقتهُ أو قصف غصنهُ هُريق لبناً أبيض واحدهُ بشامة » .

— وفي ح ٩ من ص ١٥٢ تصحيح لما ورد في النص : « إذ مرَّ العقعق والسخاب في منقاره : « فيما عدا ل : « في فمِهِ . وأنـى يكون لهُ فم ؟ ! » قلنا : ورواية الفم أصح من رواية المنقار ، فقد ذكر اللغويون : فم السمكة ، وفم الطريق ، وفم الوادي ، وفم النهر من باب المجاز والتوسع . فلماذا لا يقال : فم الطائر ، وقد قالوا : فم الحيوان (المصباح) ولماذا لا يدخل الطائر في جماعة الحيوان ؟ وقد كرر المحرر هذا الانكار في ح ١ ص ٣٣٨ .

— وفي ح ٥ ص ١٥٨ في تعليقهِ على هذا البيت : « معي كل فضفاض القميص كأنهُ » ط فقط : فضفاض الثياب ، ولم أجدها في مرجع . قلنا : وهذه النسخة نفسها كافية لأن تكون مرجعاً يعتمد عليه ، إذا اتفق المعنى والمبنى معا . (١)

— ذكر المحرر في ح ٥ من ص ٢٠٩ التدرج والدُرَّاج ، فالتدرج على الأصح هو Pheasant بالانكليزية وبالفرنسية Faisan وأما الدراج وزان رمان فهو Francolin بالفرنسية والانكليزية معاً . وأما ذكر الدُرَّاج فهو الحيقُطان بالعربية و A cock pheasant بالانكليزية و Le mâle du francolin بالفرنسية ، وقد أخطأ اسقينكاس بتسميته بالانكليزية Black partridge.

« للكلام بقية »

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أحفياء مجمع فؤاد الاول للغة العربية

---

(١) على ان الفضفاض وردت في جميع المعاجم . قال في اللسان : « وقميص فضفاض : واسع . وفي حديث سطيح : أبيض فضفاض الرداء والبدن . أراد واسع الصدر والذراع . فكنى عنه بالرداء والبدن . وقيل : اراد كثرة العطاء ، ومنه حديث ابن سيرين . قال : كنت مع أنس في يوم مطر والارض فضفاض ، أي قد علاها الماء من كثرة المطر . وقد فضفض الثوب والدرع : وسعهما . قال كثير :

فنبذت ثم تحية فأعادها غمر الرداء مفضفض السربال

والفضفاض : الكثير الواسع ... الى آخر ما جاء هناك . وراجع أساس البلاغة ، فقد جاء فيه : « درع فضفاضة : واسعة . وبطن فضفاض . . . وعيش فضفاض واسع » .

٤ – التعقيب

في اللغة الشاردة

اتفق لي من ثلاثة أشهر أن تدبرت هنا كتاباً خرج لقراء العربية[١]. فالى جنب الوصف الحسن اذا حقَّ هذا الوصف ذكرت طائفة من العيوب التي تقصي الكتاب عن حلقة العلم وتلصقهُ بأدب الصحف، ثم أضفت الى تلك العيوب ما أصبت من زلات في جانب اللغة، وقد هوّنت الأمر إذ قلت: « وقفتني أشياء طفيفة معدودة مما يجري، فيما أعلم، على أقلام المولدين — وكلنا على تلك الحال ». دوّنت ذلك ثم قيدت تلك الزلات فخفَضتها الى ست. ومما تركته مثلاً ما جاء في صفحة ١١٩ من الكتاب: « الوفود عثرت في طريقها بغلام »، والوجه الصحيح: « عثرت على غلام »، لأن عثر بالشيء يكون للعثار والسقوط على جهة الحقيقة، وأما عثر عليه فأصابه نَبَهاً (عن غير طلب) أو اطلع عليهِ، وهو المعنى المقصود من العبارة. وفيمن نبه على هذه الزلة من قبل: اليازجي (لغة الجرائد)، والكرملي (مجلة الرسالة العدد الـ ٤٨٣) ثم فصّل التنبيه محمود محمد شاكر (الرسالة ٤٩١).

وانما المقصد من مثل هذا التنبيه على وجه العموم أن تمحض الملكة ويفصح المنطق. وبكلنا حاجة الى ذلك، فالعربية نأخذها اكتساباً، لا نملكها بالفطرة. ثم هي غير منقادة في يُسر. حتى أهل اللسان من القدماء البصراء هفَوا فتعقّب المتعقبون هفواتهم. وهيهات أن يكون معنى هذا أن التخلف في الإنشاء مقبول والتسمح في التعبير ميسور. ولَيذهب الأمر في البعد إذا كان الخطأ أولَجَ في «ما تغلط فيهِ العامة»، ثم يعظم اذا اندرج في الطائفة التي نبه عليها أهل اللغة ورفعوها لبصر من يريد أن يتجنب فلتات اللسان.

قيَّدت تلك الزلات، فنَهَدَ المنقود ينافح، وله هذا. غير أنهُ خلط الجدل بما شاءت قريحته أن تسمح بهِ، كأنما النقد القويم في باب العلم والأدب إثم. ألا لكلٍ وجهه ونيّته... بالله أيروّع المحْكُّ من كان للمعرفة عاملاً والى الحق ناظرا؟ هلكَ الزمن الذي كانت الغلبة فيهِ بالمماراة، ولن يَبعث باعثٌ ذلك العهد الأغبر ما دام نظرائي بقيد الحياة، وما دمت.

---

(١) « الصديقة بنت الصديق »، راجع مقتطف فبراير ص ١٨٩

هذا ، وبعد نخلٍ طويلٍ للعبارات التي لفظتها القريحة – وهي غمرة – ارتفعت الينا ، في عناء ، ملاحَّةٌ تدور على زلَّتين اثنتين ، والزلات كَنّ ستّاً على سبيل التمثيل ، كما قد قدَّمت .

ووالله لولا أن يكون الكاتب وقع لهُ أن ينتمي الى مجمع دأبهُ حوطُ اللغة العربية والذبّ عنها لمضيت عنهُ . فربَّ خاشٍ يخشى أن يتأثره متأثر فيعثر عثاره . والى ذاك يُضاف أنك بجنب السقم الذي يثقل طائفة من عبارات المنقود تَلمس في الجدل الذي يطيب له مكابرة من جهة ومغالطة من جهة ، وإني أجري هاتين الكلمتين على حد مدلولاتهما في فنّ المناظرة .

أما المكابرة فهاهنا :

كنت أخذت عليه قوله : « آداب العرب النسائية » ، ص ٢٦ من كتابه ، وذكَّرته بما ورد في كتاب سيبويه (ط بولاق ١٣١٦ ج ٢ ص ٨٩) : « وتقول في الاضافة (أي النسبة) الى نساء : نِسوي ، لأنهُ جماع نسوة وليس نسوة بجمعٍ كُسِّر له واحد » .

فقال المنقود الى التخريج (الرسالة ٥٥٩) . وجملة حججه : أن نص سيبويه يرجع الى مذهب البصريين وحده ، وأن النساء بمعنى النسوة تحل احدى الكلمتين محل الاخرى ، وأن النساء إن فرض انها لا تقال إلا للكثرة وهو فرض بعيد فما دخل الكثرة في الحكم النحوي (يعني النسبة) ، وأنه يقال النسائي بانزال الجمع منزلة الجنس الواحد كما يقال الانصاري والاعرابي بانزال الجمع منزلة القبيلة الواحدة .

ودونك قطع هذه الحجج المجتلَبة :

١ — لم يورد المنقود نصًّا للكوفيين يدفع نص سيبويه أو يخالفهُ أو يضعفهُ ، ولم يأت أيضاً بـ « نسائي » مسموعاً منقولاً عن فصيح .

٢ — ان نساء جمع نسوة ، وهي للكثرة . « قال ابن سيده (المحكم) : و« النساء جمع نسوة إذا كثرن » (لسان العرب ج ٢٠ ص ١٩٣ ، تاج العروس ج ١٠ ص ٣٦٥) . وفيهما أيضاً : « ولذلك قال سيبويه في الاضافة (النسبة) إلى نساء : نِسوي ، فرده الى واحده » . ففي النسبة تكون الاضافة الى الواحد ، وإذ ليس لنسوة من لفظه واحد ، نسبوا الى نسوة لأنهُ أقرب من نساء الى الافراد .

٣ — قد تكون النسبة الى نساء ، وهو جماع نسوة ، صحيحة بل واجبة اذا تضمن نساء معنىً غير موجود في نسوة . فقد اشترط أبو حيّان في هذا الموضع : « أن لا يكون رد الجمع الى الواحد يغيّر المعنى ، فان كان كذلك نُسب الى لفظ الجمع كاعرابي ، إذ لو قيل فيه عربي رُدَّ الى المفرد لتبادر الأعمّ ، والقصدُ الأخصّ لاختصاص الأعراب بسكان

البوادي... »(١). هذا وأنت تعلم أن الذي في نسوة من المعنى هو الذي في نساء ، ولولا أن يكون الأمر كذلك ما حلت إحداها محل الأخرى بحسب ما يقرّ بهِ المنقود نفسه. ثم إنك ترى أن حكم نساء ونسوة هنا غير حكم أعراب وعرب ، فلكل من هذين اللفظين الآخرين معنًى خاص بهِ كما قد مرَّ بك . ومثل هذا قل في « أنصاري » فانما الانصاري مما « غلب فجرى مجرى الاسم العلم » (٢) ، ولم يرد النسائي تحت قلم الكاتب اسمَ علم .

٤ — وأما تكلّف المنقود الرغبةَ في انزال النساء منزلة الجنس الواحد فأمر يبطله ما ورد في خاتمة « المصباح المنير » (فصل النسبة) : « وان كانت النسبة الى جمع فان كان مسمًّى بهِ نسب اليهِ على لفظه نحو كلابي وأنصاري ، لأنهُ نازل منزلة الفرد فلم يغيَّر . وان لم يكن مسمى بهُ، فان كان له واحد من لفظه نسبتَ الى ذلك الواحد فرقاً بين الجمع المسمى به وغير المسمى به ، وقلت : مسجدي في النسبة إلى المساجد . . ، لأنك ترده الى واحده . وقيل إنما رُدَّ إلى الواحد لأن الغرض الدلالة على الجنس ، وفي الواحد الدلالة عليهِ فأغنى عن الجمع . وكذلك لو جمعت شيئاً من الجموع التي لا واحد لها من لفظها ، نحو نَبَط تجمع على أنباط ، إذا نسبتَ اليهِ رددته الى ما كان عليهِ ، وقلتَ نبطي في النسبة الى الأنباط ، ونسوي في النسبة الى النساء ».

٥ — والخلاصة ان المنقود في تخريجه حكم برأي نفسه (٣) وقد فرت من بين يديه قواعد النسبة وشرائطها ، وغابت عنه نصوص الثقات والأثبات . ولذلك أراني مضطرًّا إلى أن أحملهُ لأتبع سيبويه ، وقد تبعهُ في « نِسوي » : ابن سيده في مخصصهِ ج ٣ ص ١٥٤، والفيروزابادي في قاموسهِ ،وابن مكرَّم في لسانهِ ، والزبيدي في تاجهِ ، والفيومي في مصباحه (٤) .

---

(١) حاشية الصبان على شرح ألفية ابن مالك للأشموني ، ط مصر ١٢٨٠ ج ٣ ص ٢٣٧

(٢) حاشية الصبان ص ٢٣٩

(٣) arbitrarily, arbitrairement

(٤) ويتصل بحكم الكاتب برأي نفسه مجازفة وباجترائه على المروي الصحيح ما فرط منه في قصة « سن السيدة عائشة » في كتابه ثم في نقاشه . ولقد اطلع القارئ في « المراسلة والمناظرة » من العدد الماضي على الفصل الفاصل الذي عقده أحمد محمد شاكر .

ثم انه يلحق بمثل تلك المجازفة أن المنقود حسب ان « النقد الداخلي critique interne » عند علماء التاريخ منصرف الى تعرف طبائع الخلق (الرسالة العدد ٥٥٥ ص ١٩٤) . والوجه الصحيح أن النقد الداخلي (أو الباطني) عند القوم موقوف على تبيين النصوص ، وتحري الاخبار، الى ما يندرج تحت ذلك . وكتب مناهج العلوم باللغات الاوربية زاخرة بأصول هذا الفن . ومن الميسور الآن أن يقف عليها المستطلع في كتابين خرجا بالعربية : الاول « مصطلح التاريخ » لاسد رستم ، بيروت ١٩٣٩ (ص ٦٦ — ١٣٠) ، والثاني « منهج البحث التاريخي » لحسن عثمان ، القاهرة ١٩٤٣ (ص ١١٣ — ١٨٠) .

وأما المغالطة فهنا :

كنت أخذت على الكاتب قوله : « الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة وما بعدها » ص ٩٣ من كتابه . وأشرت الى ان التراوح خلاف هذا ، كما قد بيّن من قبل الامام اليازجي ، واليوم الكرملي في مجلة المجمع العلمي العربي ، والعوامري في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي . فانما غرض المؤلف : « يترجح » أو « يتذبذب » أو نحو ذلك .

فاستدرك المنقود على هذا النحو : « لكن المراوحة بين العملين في جميع معجمات اللغة هي أن يعمل الرجل هذا مرة وهذا مرة . والمراوحة بين الرجلين هي أن يقوم على كل مرة . فاذا قلنا على هذا ان الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة وبين السنة السادسة فذلك صحيح ما دام الاختلاف هنا هو الفاعل الذي يقول مرة بسنة من السنين ومرة بسنة أخرى ، فهو يتراوح بين القولين تارة الى هذا وتارة الى ذاك . »

ويزيّف هذا أن الكاتب أجرى تراوح مُجرى راوح . وهما على اختلاف : راوح رباعي ، غير معتدٍ بنفسه ، فاعله فرد وهو يكون بين أمرين : يُعمل ذا مرة وذا مرة : راوح فلان بين كذا وكذا . وأما تراوح فخماسي ، له أن يتعدى بنفسه ، فاعله غير واحد ، وهو أن يتعاور عاملان أو أكثر أمراً واحداً ، : هما يتراوحان عملاً ، « وان يديه لتتراوحان بالمعروف » . فكيف تقول : « الاختلاف يتراوح بين كيت وكيت » ؟ في ذلك كله راجع ما سطره العوامري في مجلة المجمع ج ٢ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

◆ ◆ ◆

ذلك تفصيل رد الكاتب المنقود مع دفعي له .

وما دمت في معرض التنبيه على سبيل التمثيل فلا بدّ من تتبع طائفة من الأوهام المبثوثة في كتاب أخرجه الكاتب من أيام ، وعنوانهُ « عمرو بن العاص » . وليكن التنبيه في غير اطالة . وقد يكون الوهم من جهتي ، فإن كان ذلك كذلك ففي المرجوّ أن أردّ الى الصواب . فانما الغاية التي أجري اليها ويجري غيري من الغُيُر بقاء لغتنا الكريمة على نقائها :

١ — الخلط — في ثنايا الكتاب (خاصة ص٨٢-٩٥) استعمل المؤلف كلمة « الروم » تارة و « الرومان » أخرى ، من غير تمييز ، وإنما مقصده هنا وهنا : روم « بزنطية » وهم « الطبقة الثانية من ملوك الروم » على ما جاء مثلاً في « التنبيه والاشراف » للمسعودي ، لا « الطبقة الاولى » ومركزها رومية (« الرومان » اليوم) .

٢ — اضطراب التعدية — ص ١٠ : « وهو الذي قال عن النبي عليه السلام حين مات ابناه : ان صاحبكم هذا الأبتر . فنزلت فيه الآية : ان شانئك هو الأبتر » . واستعمال « عن » بعد « قال » في هذا الموضع خطأ كريه ، لأنها للنقل والرواية ، فكأن القائل ينقل عن الرسول ، والوجه أن يقول : « قال فيه » أو « عليه » — ص ١١ : « ومن كلامه عنها (عن أم عمرو) أنها سلمى بنت حرملة » . والذي لحق « عن » في المأخذ السابق يلحق بها هنا . والصواب استعمال «على» أو «في» — ص ١١ : « وانجاب هذه ومثيلاتها للنوابغ من البنين » . جعل «أنجب» متعدياً بنفسه (واللام مزيدة للتقوية) وهو لا يتعدى بنفسه ، يقال : أنجب الرجل والمرأة إذا ولدا ولداً نجيباً . وورد : أنجب والداه بهِ (أساس البلاغة ، ن ج ب) — ص ٢٨ : « واعده الى مكان منفرد » . والذي في « اللسان » و « التاج » : واعده الوقتَ والموضعَ — ص ٦٢ : « يتأهبون للزحف على المدينة » . والمنقول : (اللسان ، مثلاً) « يزحفون الى العدو » : يمشون . وأما « زحف على » فمن « زحف الصبي على الأرض قبل أن يقوم أو يمشي » . فعلى ، هنا ، تفيد الاستعلاء ، وأما الى فتدل على انتهاء الغاية المكانية — ص ٩٣ : « أهو روماني أو مصري » . والمقصود : أروماني (رومي) هو أم (أو) مصري ؟ إذ هنا طلب التعيين — ص ١٢٥ : « نضاله (أي معاوية) مع علي » . والمقصود : نضاله عليًّا أو لعلي . لأنَّ « مع » تفيد هنا الاجتماع والمصاحبة والمشاركة ، وهذا عكس الذي يريده المؤلف .

٣ — العاميّات — ص ٣٥ : « يقدم الرجل الحذور (؟) على شطحات » . يريد « على مخاطرات » . والذي في تاج العروس : « الشطحات ، وهي في اصطلاحهم (يعني المتصوفة) عبارة عن كلمات تصدر منهم في حالة الغيبوبة (divagations) . وذكر الشيخ السنوسي في أثنائهِ : الشطحات لم أقف عليها فيما رأيت من كتب اللغة كأنها عامية وتستعمل في اصطلاح التصوف » ، اطلب هنا كتب مصطلحات الفلسفة : « التعريفات » للجرجاني ، مثلاً . وللشطحات معانٍ شتى متأخرة تصيبها في « ذيل المعجمات العربية » للمستشرق دوزي — ص ٥٧ : « حاق بها الفشل » . يريد « الاخفاق » ، على حين الفشل : الجبن والفزع والضعف . وقد سبق لبصير في اللغة أن ردّ الكاتب في هذا (الرسالة ٥٤٥ ، ٥٤٨) ففزع الكاتب الى التخريج المجازي . فهل أجعل بين يديه ما قيّده العوامري في مجلة مجمع اللغة العربية (ج ١ ص ١٥٦) قال ، بعد استشهاده بالنصوص العالية على رأسها ما ورد في القرآن : « فالتلميذ الذي يقول مثلاً : فشلت في الامتحان أي أخفقت : لا يدري إلاّ أن هذا

المعنى لذلك اللفظ ، ولا يفقه وراء ذلك شيئاً . فكيف نبيح له هذا الاستعمال المجازي ، وهو يجهل حقيقة اللفظ ومجازه ؟ فهذا خطأ يجب اصلاحه ، فان المجاز والاستعارة انما يكونان عن علم وإرادة وإلاّ كانا عبثاً وتخليطاً . » — ص ٧٥ ، ٧٧ : « ثقة الفاروق بكفاءة عمرو ودرايته — ما عرف من كفاية عمرو » . الكفاءة غير الكفاية ، وقد تكلم اللغويون لهذا العهد في هذا المطلب غير مرة . والصواب في الموضعين : الكفاية — ص ٩٥ : « كانت حركات السرايا في الصعيد مناورات للتعمية والاستطلاع » . والمناورات – وهي جمع مناورة – من الألفاظ الدخيلة على أيدي الترك فيما يغلب على الظن ، وهي عامية أيّ عامية وفرنسيتها manœuvres . وعربيَّتها في هذا الموقع : مراوغات ، محاوتات (فعل الحوت في الماء) — ص ١١٣ : « فليس عمرو بالذي يحتمل هذا العزل أو يستكين اليه » . والمراد : يسكن اليه أي يطمئن ويرتاح . وان أردت : استكان ، وهي بمعنى خضع وذلّ (اللسان ، ك ي ن) فالتعدية باللام لا بإلى ، وفي التنزيل : « ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » — ص ١٣٥ « في السابع عشر من رمضان » . والأعلى : من شهر رمضان . قال ابن درستويه في كتاب الكتّاب (بيروت ١٩٢٧ ، ص ٩٢) : « وأما الربيعان ورمضان فليست بأسماء للشهور ولا صفات لها ، فلا بدّ من اضافة شهر اليها ، كقولك شهر ربيع وشهر رمضان . . » . ثم ارجع الى تاج العروس (ر م ض) : « قال الفراء : يقال هذا شهر رمضان وهما شهرا ربيع ، ولا يذكر الشهر مع سائر الشهور العربية ، وشاهده قوله عزّ وجلّ : شهر رمضان الذي أنزل فيهِ القرآن . »

٤ — من غرائب الصرف — ص ٦٨ : « فجرد جيشاً من ثقاة المسلمين » . والصواب الصواب : ثقات ، بالتاء المبسوطة ، فالمفرد : ثقة ، وحكمها حكم صفة . فكأن المؤلف قاسها على قضاة ، ومفردها قاضٍ .

• • •

وبعد ، فليس للقلم رجعة الى هذا الآن اذا اعتبر النقود ، فكتب لوجهِ العلم والأدب .

بشر فارس

◆

استدراك : سقطت عبارتان : (١) والمولدات وغير ذلك — ص ٥٠١ س ١٧ ، بعد : — العاميات
(٢) وفي المصباح والتاج أيضاً ذكر من يجوّز اسقاط كلمة شهر . ص ٥٠٢ خاتمة س ١٧

رسالة

وردتنا ـ وهذا الباب ماثل للطبع ـ رسالة من مصطفى جواد الدكتور في الآداب من السربون والاستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد، زاخرة بمراجعات لغوية في ما دار على قلم المنقود. وإذ كانت الرسالة مطولة وكان المقام محدوداً نعتذر الى كاتبها المتمكن وقارئ هذا الباب من الاجتزاء ببعض ما حوت الرسالة.

تناول صاحب الرسالة في أول حديثه الكلام على الجزازات، فقال في ما قالهُ: «اما علم الجزازات فقد حاول الكاتب أن يتغافل عن ضرورته فما استطاع قط، ولا يبلغ علم الجزازات إلاّ من له استعداد لتصنيف العلوم تصنيفاً علميًّا. ولا يجوز أن يستخف بهِ من لن يبلغه...»

وبعد تلك الديباجة عرض للأغلاط اللغوية، فسرد منها اثنين وعشرين وقع عليها في ثلاث مقالات جرى بها قلم المنقود في مجلة الرسالة (وأرقام الأجزاء: ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٥٩) وهو ينازع في مسائل النقد المنشور في مقتطف فبراير الماضي. ونحن نقتطف من ثمرات السرد ما ياتي:

«الجزء ٥٥٥ — ص ١٦١ «آراء حول الكتابة». والصواب: في الكتابة، لأن حول ترجمة about || ص ١٦١ «وفيما يلي طائفة من الآراء» والعرب لا تستعمل الفعل: ولي يلي، بلا مفعول لأنهُ واجب لتعيين المكان || ص ١٦٢ «تكلمنا عنها» والظاهر انهُ لا يميز بين تكلم عنه وتكلم عليهِ، والفرق في استعمال حرف الجر لازمة مراعاته كالذي في صبر عنه، وصبر عليهِ، وقال عنه، وقال عليه || ص ١٦٢ «وعلى أية حال لامساس في هذا ولا ذاك» ومعلوم أن خبر «لا» للتبرئة ومعمول خبرها لا يجوز أن يتقدما عليها، فالصواب: ولا مساس في هذا ولا ذاك على أية حال. وإنا لنعجب من بعد الكاتب عن السليقة العربية...»

«الجزء ٥٥٧ — ص ٢٠١ «كتبنا عن عائشة كتابنا» والصواب: في سيرتها، في ترجمتها، أو ما أشبه ذلك. «وكتب عن» تفيد: نقل واستملى واستنشد. والخطأ من غلبة لغة الترجمة على قلم المنقود ولبه || ص ٢٠٢ «دبت بين الرسول وبين إحدى زوجاته» وهذا خطأ لأن «بين» المضافة إلى الظاهر لا تتكرر || ص ٢٠٢ «اذا نحن لم نمحص خلائقها» والتمحيص: الابتلاء والاختبار، فكيف يختبر أخلاقاً ماضية مع صاحبتها. وفي القرآن الكريم: «وليمحص الله الذين آمنوا» أراد تمحيصهم بالجهاد والصبر. فالتمحيص للامر المشاهد، وهو في التطهير من أعمال

الله تعالى . وفي أساس البلاغة : « محص الله التائب من الذنوب ، ومحصهُ : خلصه من كل عيب ... » فان كان في صاحبة الترجمة عيب فهل يستطيع هو تمحيصها منهُ أي إخلاصها ، وهل هو محترف للتمحيص على طريق الوكالة عن الله تعالى ؟ || ص ٢٠٢ « ثم نقابل بين الكفتين » ولم يقل عربي فصيح : قابلت بين كفتي الميزان والأمرين والشاعرين ، وانما قالوا وازنت ، فكل استعارة في العربية تستوجب فعل المستعار ، فالمستعار في الحقيقة « الكفة » والفعل الخاص بها : الموازنة والرجحان ، أعني بالفعل الحدث || ص ٢٠٢ « ولكن ما هو البحث الخالص ؟ » وكل يعلم ان الاضمار قبل الذكر لا يجوز ها هنا ، لأن المسئول عنهُ هو البحث ، ولأن « هو » مقدمة إخبار ، ولا يجتمع سؤال ومقدمة إخبار في عبارة واحدة ، لتناقضهما بالنسبة إلى مقتضى الحال || ص ٢٠٣ « وهذا هو التدليل » والتدليل كلمة لم تستعملها العرب فلم يقولوا في القصد : التقصيد ، ولا في الهداية : التهدية . ولعله أراد « الدلالة » وظنها غير كافية فنقل فعلها الى باب المبالغة والتكثير ، مع أن « الدلالة » تدل على المبالغة لأنها على وزن « فعالة » ، وهي من مصادر المبالغة كالعزازة . فالعرب تكتفي بوزن المصدر عن النقل ... »

« الجزء ٥٥٩ — ص ٢٤٢ : النسبة إلى « أُمَّهة » : أُمَّهي ، كما يقال في النسبة الى « تَرّهة » : تَرَّهي ، لا : أُمَّوي . فقد قال الكاتب : « فاذا قلبت الهاء (من أُمهة) واواً كما تقلب في سنة : سنوي ، شفة : شفوي ، عضة : عضوي فليس في ذلك خلاف للمأثور ولا للمنصوص عليه » وفي هذا تخليط عجيب ، لأنك إذا عددتَ أصل « أمّ » أمّهة خرجت الأمهة من باب سنة وشفة وعضة ، وللنسبة أبواب وحساب . وليست سنوي نسبة إلى سنة بسبب قلب الهاء واواً كما ادعى الكاتب ، وإنما ذلك لرجع اللام المحذوفة الى الكلمة وحسبانها واواً || ص ٢٤٢ « يسهل ايجاد الذنب .. ولا يسهل ايجاد العذر » وظاهر قوله أنهُ لا يميز بين الايجاد والوجدان . فالايجاد : إحداث وانشاء وخلق ، والوجدان : عثور . فالصواب : يسهل وجدان الذنب || ص ٢٤٢ « هم اولئك الادعياء الذين يقحمون انفسهم » . وقد استعمل اسم الاشارة قبل تعيين المشار اليهِ بالذكر او بالجهة ، وذلك خطأ قبيح أيضاً . فالصواب : هم الأدعياء أولئك الذين يقحمون || ص ٢٤٢ أيضاً « وهو يقرأ ما أمامه بهذه اللغة فلا يفهمه » ولم أظن قط كاتباً يجهل الفرق بين « أمامه » و « بين يديهِ » و « بازائهِ » .. فالأمام يقتضي أن يكون ظهر الكتابة الى وجه الرائي والقارئ ؛ ولا فائدة في ذلك . وايضاح ذلك أنك تقول « وقف فلان أمامي » اذا كان ظهره الى وجهك و « وقف بين يدي وبحضرتي »

اذا واجهك . فالمكتوب يكون بين يديه لا أمامهُ لاستحالة قراءته إذا كان أمام ...»

وبعد ذلك عرض صاحب الرسالة لكلمة « نسائي » و « تراوح » وهما من زلات المنقود كما تقدم . ونحن نثبت هنا ، على جهة الاختصار ، ما جادت بهِ بصارته باللغة ولم يذكر في ثنايا المقال السابق :

١ — « نسائي » : « ادعى (يريد المنقود) جواز النسبة الى نساء وترك نسوة بخلاف ما نبه عليهِ سيبويه وثقات الصرفيين ، قال نجم الأئمة الاسترابادي (« شرح الشافية» ط مصر ١٩٢٩ ج ٢ ص ٨٠) : « وان كان اللفظ جمعاً واحده اسم جمع نسبت أيضاً الى ذلك الواحد كما تقول في النسبة الى نساء : نسوي، لأن واحده نسوة ، وهو اسم جمع ...» وتجوز النسبة الى الجمع بشروط أولها حصول فائدة في ذلك كدفع التباس أو حفظ أصل أو جهل مفرد أو موازنة مفرد ، فما الفائدة في قولنا : نسائي ، مع نص العلماء على نسوي ؟ ولا دخل للمذهبين البصري والكوفي في هذه المسألة ، فلم يقل أحد من الصرفيين الكوفيين إنهُ يجوز أن يقال : نسائي وأنباطي وأقباطي ورجالي ...»

٢ — « تراوح » : « احتج اولاً بالمراوحة اي المفاعلة من الراحة او الروح ، لا من الرواح ثم وثب الى التراوح ، وفي كليهما كان مسقطاً في القول واهماً ، وهذه عاقبة من يخطىء الصواب ويريد الخلاص من الاقرار بالخطأ . فالمراوحة عملُ فاعل واحد ، والتراوح عمل فاعلين او أكثر منهما . فالاختلاف واحد لا يتراوح وحده، وكذلك لا يقال هذا الشيء لا يتساوى ولا يتماثل ولا يتشابه ولا يتقابل. ثم إنهم جعلوا تراوح متعديًّا بنفسهِ فما الذي أدخل « بين » في الجملة ؟ فانهُ يقال : تراوحا العمل، ويقال : « ان يديه لتتراوحان بالمعروف» بحذف المفعول والاصل : «لتتراوحان الحركة بالمعروف » . وصواب القول : «والاختلاف بين السادسة والرابعة» بحذف يتراوح . واذا أريد الشك قيل : « الرابعة أو السادسة » كقوله تعالى « الى مائة الف أو يزيدون . »

ثم ختم الرسالة بقوله : « وجدنا له هذه الاغلاط في موضوع واحد ولو كان ذا ثلاثة اجزاء (يعني « الاعداد الثلاثة » من مجلة الرسالة) ، فكيف يكون حاله إن قرأنا له كتاباً من كتبهِ ؟... وإني أعد السكوت عن هذا جريرة في شرع العلم والأدب ...»

بغداد مصطفى جواد

باب الأخبار العلمية

مرصد غرينتش يغير مكانه

أذيع من لندن في أواخر مارس الماضي ، نبأ يصح أن يعدَّ نهاية عصرٍ في تاريخ علم الفلك الحديث : ذلك بأن مرصد غرينتش الذي يعتمد عليهِ في التوقيت ، في جميع أنحاء العالم ، واليهِ يرجع ربابنة السفن في حساب مساراتهم في البحار ، سينتقل من مكانهِ التاريخي ، جنوبيَّ نهر التاميز.

وقد أعلن السر هارولد سبنسر جونز مديرهُ ، أن الباعث على هذا الانتقال ، هو الدخان الذي يحفل بهِ هواء لندن الآن ، في منطقة مباني المرصد ، نتيجة لقيام منشآت صناعية كثيرة فيها

وقد زعم الألمان ، أن قنابلهم أصابت المرصد في الهجوم الجوي على لندن سنة ١٩٤٠ وفي خلال الغارات الأخيرة ، ولكن ذلك لم يؤيَّد من مصادر رسمية بريطانية.

على أن انتقال مرصد غرينتش من مكانهِ الى مكان آخر ، لا يحدث تغييراً ما في المهمة العظيمة التي طال عهد نهوضهِ بها وهي تعيين الوقت الاساسي الذي ينسب اليهِ الوقت في كلّ منطقة أخرى في العالم . فمكانهُ الجديد ، أنَّى كان — وهو لم يحدَّد بعد على ما يعلم — سيكون على خط الطول « صفر » الذي يحسب كل شرق وكل غرب بالقياس اليهِ .

وقد أنشىء مرصد غرينتش سنة ١٦٧٥ على عهد الملك تشارلز الثاني ليكون معواناً لملاَّحي البحار في مستهل العصر الذي أخذت تتسع فيهِ الملاحة البريطانية اتساعاً عظيماً . والملاحة المحكمة تقتضي معرفة مواقع القمر والنجوم معرفة دقيقة ، فأنشىء المرصد لهذا الغرض وعين لهُ الملك تشارلز الثاني مكاناً في أعلى موقع بالحديقة الملكية في غرينتش وعهد الى السر كريستوفر رن المهندس المعماري المشهور في تصميم مبناه ، على أن لا تزيد نفقاتهُ على خمسمائة جنيه وعيَّن الفلكي المشهور جون فلامستيد مديراً لهُ بمرتب يبلغ مائة جنيه في السنة .

وقد كانت ضاحية غرينتش مثابة لكبار القوم في ذلك العهد ، ولكن التوسع الصناعي ، كاد يغمر المرصد بالمصانع الجديدة ومحطات توليد الطاقة المحركة فغدا الهواء ملوَّثاً ، وفرضت على أعمال الرصد قيود حدَّت من نفع المرصد على ما قال مديره سبنسر جونز في حديث لهُ نشر في الصندي اكسبرس.

ثم إنَّ مصابيح السيارات الكثيرة ، كانت تشق ظلام الليل في جواره ، بأنوارٍ لامعة قبل الحرب — وكذلك أضواء الاعلانات الضخمة : فاجتمع القتام الناشئ عن الدخان والهباب ، والبهاء المتقلب الناشئ عن أنوار السيارات ، على جعل انتقال المرصد من مكانه الحاليّ أمراً لا مفرَّ منهُ .

فرؤية المجرَّة بالعين المجرَّدة غدت متعذرة والتصوير الطويل الأمد بالمصوِّرات الضوئية ، غدا مستحيلاً .

هل «الريلاكسين» تَوْرٌ جديد يهوِّن الولادة على الحوامل ؟

في الأنباء العلمية من أميركة أن أحد أساتذة جامعة هارفرد بيَّن وجود هرمون «تَوْر» جنسيّ جديد للأنثى . وقد قضى في هذا البحث عشرين سنةً فلما ثبت وجوده عندهُ ، أطلق عليه اسم «ريلاكسين» ومعناه المادة التي تحمل العضلات على الانبساط . فاذا ثبت وجوده عند غيره من العلماء وتأيدت الخواص التي تعزى اليهِ ، أصبح عاملاً من أهم العوامل لتهوين الولادة على النساء .

وكاشف هذا «التَوْر» هو الأستاذ فردريك لي هيسو Hisau ، وقد كشفهُ بعد بحث طويل مستفيض في دراسة الحياة الجنسية لحيوان يعيش في أنفاق البراري كما يعيش الخلد .

وقد لاحظ انَّ حوض الأنثى في هذا الحيوان ضيق ، وفتحتهُ لا تتسع للولادة ، ولكن اذا حملت الانثى اتسعت الفتحة . فخطر له ان «توراً» معيناً في المبيضين يحدث هذا التغيير في سعة فتحة الحوض ، وامتحن ظنهُ هذا بحقن خلاصة من مبيضي أنثى في ذكر مخصيّ ، فاتسعت فتحة الحوض .

فلما نشر نتيجة مباحثه الأولى ، قل من التفت اليها . ولكنَّ علماء الغدد بدأوا يعنون بمباحثه حين تمكن هيسو وغيرهُ من الباحثين من العثور على هذه المادة التي تحمل العضل على الانبساط في الحوامل من خنازير الهند والأرانب والكلاب والهررة والافراس والنساء

ولكن اين هذه المادة ، وما قوامها ، وهل يستطيع عزلها ومعرفة تركيبها الكيميائي؟

فلما روي انَّ بعض الباحثين في اوربة تمكنوا من احداث الانبساط في اوتار عضلات الحوض بحقن التورين المعروفين للمبيض — وهما الإستروجين والبروجستيرون — غلب الرأي أنَّ رأي هيسو لا يستند الى أساس صحيح . ولكن هيسو وصحبهُ مضوا في بحوثهم ، وفي أواخر مارس الماضي ، نشروا في مجلة «علم الغدد الصم» بحثاً مسهباً بينوا فيه أن المادة التي دعوها «ريلاكسين» هي

حتماً غير الاستروجين والبروجستيرون ، ذلك بانهم استخلصوا من المبيضين خلاصة مركَّزة ، أزالوا منها كلَّ أثرْ لتوْري الاستروجين والبروجستيرون (وهما يحلاَّن في الكحول) وعلى ذلك أحدثت هذه الخلاصة فعل الانبساط .

التنتالوم : فلزٌّ عجيب

كان التنتالوم منذ أربعين سنة فلزًّا لم تقع عليهِ عين إنسان ، ولكنهُ اليوم يستعمل في جراحات الحرب فيسدي خدمات لا تقوَّم بمال.

والتنتالوم من الفلزات النادرة ، ولا يزال ثمن الرطل الواحد منهُ في حدود ستة عشر جنيهاً ، ولكنهُ متصف بخواص تجعلهُ مادَّة لا غنى عنها تقريباً في علاج جمجمة مكسورة أو أذن مصلومة أو أنف مجدوع . وقد يستعمل كذلك سلكاً دقيقاً لربط طرفي عصب منفصم فيتيح لجرحى الحرب ومصابيها استعمال اذرع وافخاذ كان استعمالها متعذراً لولاهُ .

وسبب ذلك أن التنتالوم لا يتفاعل إلاَّ مع مواد كيمائية قليلة ، وعصارات الجسم لا تؤثر فيهِ ، ثم ان العظم ينمو عليهِ وحواليهِ وكذلك سائر نُسُج الجسم الرخوة .

ومن اعجب الامثلة على فوائده ، مثل فدائيٍّ أميركي كسرت جمجمته في شمال افريقية ، فاستخرج الاطباء شظايا العظم المحطم واحلوا محله ، لتغطية المخ ، رقعة من التنتالوم مساحتها ١٢ بوصة مربعة وثخانتها جزء من عشرين جزءًا من البوصة . وقد عاد الجندي إلى الخدمة الحربية .

وكسرت جبهة بحَّار فعاد بفضل التنتالوم الى الخدمة في الغوَّاصات . وكان من أثر الحادثة في أول الأمر ان ترك في الجبهة منخفضاً ، وكان يشعر بالدوار في الحين بعد الحين ويصاب بصداع متكرر . وقيل له إنهُ لا يصلح للخدمة . فكشط الاطباء الجلد ووضعوا لوحاً من التنتالوم ثم خاطوا الجلد ، وهو الآن لا يشكو إلاَّ ندبةً على الجبهة ، ويستطيع ان يتحمل ضغط الهواء الشديد الذي يتعرَّض له بحَّارة الغواصات . وكذلك نجح الجرَّاحون نجاحاً عجيباً في وصل طرفي عصب مفصوم ، بسلكٍ دقيق من التنتالوم .

ولا تقتصر فوائد التنتالوم على استعماله في الجراحة . فهو يصلح لصنع اسلاك المصابيح الكهربائية ، وان كان التنغستن قد حلَّ محلَّهُ . ويدخل في صنع الزجاج المستعمل في المصورات الضوئية فيمكن الطائرات المستكشفة من تصوير أجسام على الأرض من ارتفاع عظيم . ثم إنهُ عامل كيميائي وسيط في إحدى مراتب صناعة المطاط . وأخيراً إنهُ يتصف بقدرتهِ على امتصاص جزيئات الغاز . ولا يخفى أن الأنابيب الكهربية المفرغة ليست مفرغة تماماً . بل يبقى فيها بعض الغاز ، فاذا وضع التنتالوم داخل هذه الأنابيب امتص جزيئات الغاز فيطول « عمر » الأنابيب .

« الانسولين » في علاج كلّ شيء !

ورد من مدينة المكسيك خبرٌ طبيٌّ ، إن صحّ ، كان باعثاً على الدهش ، وخطوة أخرى عظيمة في الكفاح بين الانسان والمرض.

ففي مدينة المكسيك طبيبٌ — الدكتور دوناتو بيريز غارسيا — يستعمل الانسولين في علاج كل حالة مرضية من التيفود والزهري الى التهاب البريتون والملاريا والروماتيزم . وهو يحقن المريض بمقدارٍ من الانسولين ، يكفي لاحداث صدمةٍ قويةٍ فيهِ ، فيتفصّد عرقاً ويزداد نبضهُ وترتفع حموضة دمهِ ويصاب بغيبوبة . وهذه أعراض الصدمة . ثم يحقنهُ في الوريد بمقدار من الغلوكوز ، لمقاومة أعراض الصدمة ، وهو يعتقد أن الصدمة تؤثر في البكتيريا فتجعلها أدنى الى التغلّب عليها بالعلاج الخاص بالمرض . وقد مضى على غارسيا خمس عشرة سنة وهو يجري على هذا الضرب من العلاج . وقد عالج بهِ أحد عشر الف حالة — على ما روي — فلم يفض العلاج الى وفاة أحد . وقد شهد فريقٌ من الأطباء بعض ما فعل فأعجبوا ، ولكن المسألة في حاجة الى بحث علمي دقيق وتجارب كثيرة محكمة ، خاضعة لجميع قيود التجريب العلمي .

وقرّاء المقتطف يعلمون ، ان صدمة الانسولين ، أجدت في علاج بعض الأمراض العصبية . وفي مقتطف يوليو ١٩٣٨ ص ١٥٧ — ١٥٩ مقال عنوانهُ « الصدمة التي تشفي علاج الخبل بالانسولين وتأثير صدمتهِ في المدمنين ».

أبناء عمومة البنيسيلين

يستخرج « البنيسيلين » من العفن المعروف باسم « بنيسيليوم نوتاتوم » . وثمة عفن آخر يدعى « بنيسيليوم باتيولُم » استخرج منهُ العلماء البريطانيون مادة أطلقوا عليها « باتيولين » . وثمة عفن ثالث يدعى « أسبرجيلوس كلافاتوس » استخرج منهُ العلماء الأميركيون مادة أطلقوا عليها « كلافاكين » . وقد قيل ان « الباتيولين » فعّال في معالجة الزكام ، ولكن التجارب التالية لم تؤيد هذا الرأي تأييداً تامّاً

ثم ثبت ان « الكلافاكين » و « الباتيولين » مادة كيميائية واحدة ، وان استخرجتا من عفنين مختلفين . وهذان العفنان جنسان متقاربان كالتفاح والكمثرى . ولكن « البنيسيليوم باتيولم » أقرب الى « البنيسيليوم نوتاتوم » الذي يستخرج البنيسيلين منه(١) .

---

(١) بعد الفراغ من كتابة هذا الخبر طير البرق الينا أن الدكتور هنس اخنوخ الالماني أصلاً ونزيل لندن حالاً استنبط دواء جديداً سماه فينيسلين يحتوي على البنيسلين شكلا ويمتاز عليه بمزايا شافية مدهشة . وكان اكتشاف ذلك عرضاً بعد معالجة ولد مصاب بالزائدة الدودية والتهاب البريتون ، فشفي بهذا الدواء حين كان المرجح انه يموت لو أجريت له العملية الجراحية . ونحن ننتظر ورود الاخبار المفصلة لهذا الدواء الذي هاج خبره خواطر الاطباء .

النبات وثروة الارض المعدنية

كان معدنو اليونان القدماء يباهون بأنهم يستطيعون أن يعرفوا المعادن التي تنطوي عليها الارض من مراقبة النبات النامي على سطحها . فكان معاصروهم يهزأون منهم أو على الأقل يضربون بكلامهم عرض الحائط . فاذا عمدوا إلى التنقيب وعثروا على المعادن التي قالوا بوجودها استناداً إلى خصائص النبات قال المرتابون انهم نقَّبوا في تلك الارض قبلاً فعرفوا ما فيها ثم حاولوا ان يقنعوا الناس بأنهم يعرفون السبيل إلى سرّها من مراقبة نباتها .

ولكن أحد علماء التعدين المحدثين يقول إن الأدلة متوافرة على أن المعدنين يستطيعون أن يعرفوا طائفة من المعادن المطمورة في الأرض من النبات النامي على سطحها وبوجهٍ خاص اذا كان ذلك النبات كثيف النمو في بقعة ما. فأفضى ذلك الى شروع علماء البلاد المختلفة بدراسة النباتات المختلفة وعلاقتها بالثروة المعدنية المطمورة في جوف الارض .

ومما يروى أن أحد هؤلاء العلماء كان مرة يجول في مقاطعة دربي في انجلترة فرأى أشجاراً من الفصيلة السماقية فقال لصحبه ان في هذه الارض رواسب غنية بالرصاص. قال ذلك دون ان ينكث الارض بعصاه أو يتفرس في حجر من الحجارة التي يدوسها . وأغنى مناجم الرواسب الرصاصية في أميركة ، قائمة في منطقة تزكو فيها الاشجار السماقية .

وهناك نوادر وأمثلة أخر كثيرة من هذا القبيل .

وأحدث ما روي في هذا الصدد أن الدكتور أرثر لتل أحد علماء الكيمياء الأميركيين، ورئيس جمعية الصناعة الكيميائية سابقاً ، اقترح في « النشرة الصناعية » استعمال النباتات لاستخراج معادن شتَّى من الأرض . فمن النباتات البحرية ما يختص بطبيعته باستخراج الڤناديوم من الارض ، حيث تعدين الڤناديوم مستحيل . والڤناديوم عنصر تشتدُّ الحاجة اليه في صنع صنف خاص من الصلب . ومن النباتات البحرية ما يختص باستخراج المنغنيس، وهكذا.

أصل البلاجرا

البلاجرا مرض ينشأ من نقص المواد المغذية في الطعام . وقد وصفهُ أولاً طبيب اسباني في سنة ١٧٧١ وأصلهُ لفظان إيطاليان يعنيان « البشرة الخشنة »

التلقيح الصناعي في الدجاج

التلقيح الصناعي لكثير من الحيوانات المستخدمة في المزارع بوجه عام، وللماشية بوجه خاص، عملية تقدم تطبيقها الى حد كبير. وتم الأخذ بها في معظم الدول. أما التلقيح الصناعي للدجاج فعملية لم يتم الأخذ بها حتى الآن. ولا يعمل بها الاَّ القليل من الاخصائيين. وقد عمل المستر بلاك والمستر سكورجي بجامعة ردنج بانجلترة على تحسين عملية التلقيح الصناعي في الدجاج. وطريقتهم الجديدة هذه تنص على إجراء عملية التلقيح على دورتين: الدورة الاولى جمع المني من الديك والدورة الثانية حقن الدجاجة بالمني.

ويمكن جمع المني من الديك بتدليك بطنه تدليكاً خفيفاً. وذلك لانعاشه حتى يقذف بالمني. ثم يجمع هذا المني في قمع عادي وتختلف كمية المني التي يمكن جمعها من الديك من سنتمتر واحد الى سنتمترين مكعبين في كل مرة ثم يمزج المني بالماء. وذلك بنسبة حجم من المني الى حجم مساو له من الماء ويكفي حقن الدجاجة بعشر سنتمتر مكعب من هذا المزيج. وهذه العملية تستلزم مهارة تامة لضمان نجاحها. لأنهُ من الضروري قلب قناة البيض بالضغط وادنائها من فتحة مبرز الدجاجة. وقد وجد أنهُ عند ما تحقن الدجاجة في المبرز فقط لا ينجح التلقيح إلاّ في بعض حالات قليلة. ولذلك كان من الضروري اتباع الطريقة السالفة الذكر. أي حقن الدجاجة في فتحة قناة البيض المقلوبة. والمني الذي يقذفه ديك واحد يكفي لتلقيح ما بين ٥٠ و ٧٠ دجاجة في كل فصل من فصول السنة.

ونعدد الآن المزايا التي يمكن الانتفاع بها في تلقيح الدجاج تلقيحاً صناعياً: —

(١) لا ضرورة لحبس الديك مع الدجاج في مساحة محدودة. وبذلك يمكن تجنب اصابتها بالطفيليات باطلاقها في مساحات واسعة

(٢) بما انهُ يمكن تلقيح عدد كبير من الدجاج من مني ديك واحد في وقت محدد، يصبح اختبار النسل مسألة سهلة.

(٣) من الظاهر الجلي ان في اتباع عملية التلقيح الصناعي اقتصاداً في مقادير المني المستعملة. حيث ان الحالة الطبيعية تستلزم لنجاح التلقيح وقوع الجماع عدة مرات

هل تعلم؟

* أن المفرقعات استعملت في التعدين أولاً سنة ١٦٢٧؟.

* أن المذنب الذي ظهر سنة ١٩١٨ كان أكبر من الشمس؟

* أن لون الزبدة المصفرّ يتأثر بما تأكلهُ البقرة أكثر مما يتأثر بسلالتها؟

* أنهم صنعوا في أميركا ورقاً للسجاير لا يبتلّ فيتيح للجنود التدخين في المطر؟

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الرابع بعد المائة

٤٢١ البيوتين والبيودين وصلتهما بخفايا النمو والمرض : لفؤاد صرُّوف
٤٢٧ الى زائرة (قصيدة) : لبشر فارس
٤٢٨ ينبوع الفن (مسرحية في ثلاثة فصول) : لخليل تقي الدين
٤٤١ الناصر في بلاد الروم والاسلام : لميخائيل عواد
٤٤٥ الدين والفلسفة — التوفيق بينهما في المغرب : لمحمدَ يوسف موسى
٤٥٢ بين يدي أبي العلاء — الطبع الحيواني : لكامل كيلاني
٤٥٨ سرابيوم — معبد الاسكندرية : لباهور لبيب
٤٦٠ الألم وفائدته : نقلها كامل محمود حبيب
٤٦٣ عمر الخيام كما أعرفه : لمحمود المنجوري
٤٦٩ باب المراسلة والمناظرة * استدراك على مقال : لأحمد محمد شاكر . الجامعة السورية والمصطلحات العلمية : لعبد السلام العجيلي . الشاعر هومرس وعلم الآثار : لوهيب كامل

باب التعريف والتنقيب

صورتان للفن العربي المستحدث
٤٧٥ ١ — المسائل : « اللفظ والمعنى » بقلم ابرهيم عبد القادر المازني
— ٢ — الكتب : « أغنية الرياح الاربع » تأليف علي محمود طه . نقد بقلم كامل محمد عجلان —
٥٠٥ « الجيش والبحرية في مصر من الفتح العربي الى بداية العصر الطولوني » تأليف سيدة اسماعيل كاشف . نقد بقلم زكي محمد حسن — « نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي » تأليف علي حسن عبد القادر . نقد بقلم محمد يوسف موسى — ثم كتب أخرى ظهرت
٣ — الاستدراك : « كتاب الحيوان ، الجزء الخامس » بقلم الأب أنستاس ماري الكرملي
٤ — التعقيب : « في اللغة الشاردة » بقلم بشر فارس — « رسالة » من مصطفى جواد

٥٠٦ باب الاخبار العلمية * مرصد غرينتش يغير مكانه . هل الريلاكسين تور جديد ؟ التنالوم : فلز عجيب . « الانسولين » في علاج كل شيء ! . أبناء عمومة البنيسيلين . النبات وثروة الارض المعدنية . أصل البلاجرا التلقيح الصناعي في الدجاج هل تعلم؟